حرب الخليج
البعد الاقتصادي والرهان الدولي

عزام محجوب

محمد النحال



نشر وتوزيع مؤسسات ع. الكريم بن عبد الله

وهي تتضمن ستة كتب يتناول كل واحد منها بالدرس جانبا من مختلف جوانب ازمة الخليج :
- فالاستاذ برهان غليون ، المفكر السوري، صاحب كتاب " اغتيال العقل "، كتب تحليلا سياسيا راقيا عن " ما بعد الخليج او عصر المواجهات الكبرى ".
-والاستاذ الطيب البكوش ، الجامعي والنقابي المعروف ، حلّل بدقة عاملي الهيمنة والارتزاق في الخليج .
- اما الاستاذ محمد محفوظ الجامعي والمحامي ، فقد أحاط بعين رجل القانون المحنك ، بكل المعطيات القانونية للحرب .
- كما ان الاستاذين الجامعيين التونسي عزام محجوب والفلسطيني محمد النحال ، المختصين في العلوم الاقتصادية ، قد حلّلا بطريقة نقديّة علمية اسباب ازمة الخليج ومخلفاتها الاقتصادية في المنطقة وفي العالم .
- وقدم المفكر التونسي الاستاذ عياض الودرني دراسة ضافية عن مخلفات حرب الخليج على الرأي العام العربي اجتماعيا وثقافيا وتأثيراتها على خطاب المثقفين .
- وجمع الصحافي التونسي ، الاستاذ سفيان بن حميدة جملة من الوثائق النادرة المتصلة بحرب الخليج ، هي بمثابة مرجع تاريخي هام .
رجاؤنا ان نكون قد وفقنا في افادة القاريء وإنارته .
والى سلسلة جديدة .

الناشر

تقديم

يقدم المؤلفان هذا الكتاب بهدف ان يعرف المواطن العربي ابعاد حرب الخليج وخاصة الاقتصادية منها . وأن يستشعر مكانة هذا الوطن العربي في عالم اليوم الذي يشهد التكتلات وتضنيه المنافسات القوية بين هذه التكتلات . وقد سجلت حرب الخليج ومن قبلها هزيمة الامة العربية في الحروب التي خاضتها ضد العدو الصهيوني ، وكشفت حرب الخليج الغطاء عن الصراعات بين الدول العربية في اكثر من موقف ، تدعو الى بحث اعمق ودراسة موضوعية افضل ، لكي يستشعر المواطن العربي في كل ارجاء العالم العربي ايجابيات التوافق والتعاون والتضامن لحساب الامة العربية وسلبيات التعارض لغير حساب هذه الامة .

ان كتاب " حرب الخليج : البعد الاقتصادي والرهان الدولي " يبرز تطور السياسات الدولية تجاه المنطقة العربية مع الاخذ بعين الاعتبار الصراع

مقدمة

من المعروف ان المنطقة العربية تعد بؤرة للعلاقات الدولية وموضوعا للتنافس العالمي بين القوى الكبرى . وقد ساعدت ظروف أهمها الطبيعة غير المستقرة للمنطقة وخصائص وضعها الاستراتيجي والاقتصادي على جذب القوى الخارجية التي تطمع في السيطرة على تلك المنطقة وامكانياتها الاقتصادية وخاصة بعد الحرب العالمية الثانية عندما برز دور القوتين الاعظم ومحاولة كل منهما في السيطرة الاقتصادية على مناطق العالم الثالث الغني بمواده الخام اللازمة للصناعة والتي تعتبر سوقاً رائجة لمنتجات الدول الاوروبية والولايات المتحدة الامريكية .

وتبرز هذه الدراسة تطور السياسات الدولية تجاه المنطقة مع الاخذ بعين الاعتبار الابعاد الاقتصادية والسياسية لهذا التطور . وكذلك تبرز الدراسة ايضا الصراع العربي الاسرائيلي كمحور لتحليل السلوك العالمي بصفة عامة والاوروبي بصفة خاصة

ايزنهاور الذي أعلن في اعقاب الاستعمار البريطاني والفرنسي بأنه " فراغ " تحتاج الولايات المتحدة لملئه وقد هاجمه عبد الناصر كما هاجم حلف بغداد ، وترك ليموت في صمت . وكان اعلان هذا المبدأ ونزول القوات الامريكية على ارض لبنان في صيف 1958 وانسحابها السريع اخر اجراء اتخذته الولايات المتحدة ضد الحركة الوطنية العربية حتى منتصف الستينات . ولم تلجأ الى اسرائيل لشن هجوم على البلاد العربية حتى عام 1967 .

أما أهمية النفط العربي في تلك الفترة فقد تضاءلت بسبب اتمام اوروبا لمرحلة اعادة التعمير من جهة وثقتها باستمرار تدفقه اليها مع تباعد خطر سيطرة الاتحاد السوفياتي عليه .

هذا وهناك عدة عوامل جديدة طرأت على الاقتصاد الامريكي واقتصاديات اوروبا الغربية اضعفت الاهمية الاقتصادية النسبية للعالم الثالث لنمو الاقتصاد الغربي . فمن ناحية خلقت نهضة الاقتصاد الاوروبي فرصا مجزية لتصدير السلع الامريكية الى اوروبا ولاستثمارات رؤوس الاموال الامريكية في الصناعات الاوروبية، كذلك لعبت الولايات المتحدة دورا اساسيا في تكوين السوق الاوروبية المشتركة عام 1958 . وادى ذلك الى خلق سوق واسعة امام تلك الاستثمارات دون الحاجة الى اقامة مشروعات متعددة داخل كل دولة اوروبية . وبذلك زاد حجم الاستثمارات الامريكية المباشرة في دول السواق الاوروبية المشتركة بأكثر من الضعف في سنتين (من 400 مليون دولار عام 1959

الي 850 مليون في عام 1961) (2) كما بلغت الصادرات الامريكية الي دول السوق في نهاية الستينات نحو ثلاثة أمثال ما كانت عليه في نهاية الخمسينات . ومن ناحية أخرى ، صاحب هذه الزيادة في أهمية السوق الاوروبية المشتركة كمجال للاستثمار والتجارة ، انخفاض في أهمية التجارة والاستثمار في المواد الاولية التي تنتجها دول العالم الثالث وذلك بسبب انتعاش الانتاج الزراعي في الدول الصناعية ، وزيادة حجم الحماية التي تمنحها تلك الدول لانتاجها الزراعي ، وتزايد احلال المواد الصناعية محل المنتجات الطبيعية .

والمعروف أنه مع تراخي الضغط الخارجي وضعف المصالح الاقتصادية للدول الكبرى في دول العالم الثالث ، ظهرت حركات وطنية حققت درجة من النجاح في الاستقلال السياسي والاقتصادي فقد شهدت تلك الفترة ظهور زعماء من نوع جديد مثل نهرو في الهند وسوكارنو في اندونيسيا وعبد الناصر في مصر وبن بيللا في الجزائر ونيكروما في غانا ، يرفعون شعار الحياد الايجابي وينادون بالتضامن الاسيوي الافريقي ، واصبح عبد الناصر منذ تأميمه لقناة السويس رمزا لنضال دول العالم الثالث ضد الاستعمار . وانتهت تبعية العراق للغرب بقيام ثورة 1958 ، وقامت حكومة ابراهيم عبود في السودان وحكومة فؤاد شهاب في لبنان عام 1958 ايضا . وشهدت تلك الفترة

---

(2) جلال احمد أمين ، المشرق العربي والغرب ، الطبعة الثالثة ، بيروت ، 1981، ص 50.

وأدى هذا الانفراج الى سقوط عدة حركات استقلالية في دول العالم الثالث منها نظام سوكارنو في اندونيسيا ونيكروما في غانا وبن بيللا في الجزائر بينما رحل نهرو في سلام وبدأ تيتو الذي بقي معه عبد الناصر من اقطاب عدم الانحياز - يبحث لنفسه عن طريق للتعاون مع اقتصادات الدول الغربية .

وهكذا ومنذ عام 1965 استعاد الاتحاد السوفياتي سيطرته على اوروبا الشرقية بعد اخضاع تشيكوسلوفاكيا المتمردة في عام 1968 ، وزاد نفوذه في جنوب شرقي آسيا في اعقاب حرب فيتنام ، وكسب مناطق جديدة في افريقيا بينما استبدلت نظم كثيرة في امريكا اللاتينية بنظم موالية ولاء كاملا للولايات المتحدة باستثناء كوبا . وبذلك تفرغت كل من الدولتين الكبريين لايجاد الظروف المناسبة لها في كل دولة من الدول التي استتب لها النفوذ فيها .

وتجدر الاشارة الى ان وجود اسرائيل في قلب المشرق العربي استغل احسن استغلال لتحقيق التحول المطلوب لصالح الولايات المتحدة في المنطقة فالمعلوم ان الولايات المتحدة زودت أسرائيل بصواريخ هوك عام 1963 ، وبالتالي استخدمت اسرائيل لضرب الامة العربية حيث هاجمت مصر وسوريا والاردن عام 1967 وحدث ما حدث من احتلال للاراضي العربية والفلسطينية - ولا يتسع المجال هنا لخوض تفاصيل نتائج هذه الحرب ولكن ما يتأكد فيما بعد ان سياسة الانفراج بين الدولتين والتي من نتائجها تلك الحرب اكد الاتحاد السوفياتي

خلال مؤتمر القمة في مايو 1972 بين بريجينيف ونيكسون في موسكو أنه يعلق أهمية اكبر بكثير على تدعيم الانفراج بينه وبين الولايات المتحدة ، لما يعلقه من أهمية على التزاماته العسكرية والسياسية للدول العربية . (4)

وهكذا طرد الخبراء السوفيات من مصر في يوليو 1972 ثم الغيت اتفاقية الصداقة والتعاون عام 1976 ، وطالب الاتحاد السوفياتي من مصر تسديد ديونها ورفض التساهل بتأجيلها او تخفيض حجمها ، وجاء رئيس الولايات المتحدة في زيارة لمصر عام 1974 ليتفقد معالم تلك الدولة بعد أن اطمأن الى زحزحة الاتحاد السوفياتي عن تلك المنطقة الساخنة والهامة بالنسبة اليه .

نخلص من هذه المقدمة الى ان ما طرأ من تحولات خطيرة في السياسات الاقتصادية العربية في الستينات والسبعينات نتج عن الصعوبات التي وضعت في طريقه بسبب التطورات الخارجية لدول العالم وخاصة الدولتين العظميين وسياساتها تجاه المنطقة العربية . لذا يجدر بنا أن نشير في الفصل التالي الى السياسات الدولية تجاه المنطقة العربية لنصل بالتالي الى ما وصلت اليه الدول العربية من أحداث وتطورات كان اخرها حرب الخليج التي أدت الى انقسام الدول العربية من جهة والى تفتيت قدرات تلك الدول والتدخل الاجنبي السافر في شؤون الامة العربية وسنعالجه في الفصل الموالي .

---

(4) المرجع السابق ، ص 78.

السياسات الدولية تجاه المنطقة العربية

لعب الوطن العربي على مدار تاريخه دورا هامّا في توازنات القوى بين مراكز السياسة الدولية. فقد كان مركزا وموضعا لصور التنافس العالمي في ظل النظم الدولية المتعاقبة. وكان لدول أوروبا بحكم قربها من الوطن العربي دور مميز في العلاقات العربية - الاوروبية. وقد تشابكت هذه العلاقات في دوائر حضارية وسياسية واقتصادية، كما تأرجحت هذه العلاقات على مدار تاريخها القديم والوسيط والحديث بين مراحل ذات طبيعة مختلفة بعضها تعاونية وأخرى تنافسية أو صراعية، كما انعكس تطور وضع أوروبا في النظام الدولي على توجهها واهتمامها وسلوكها تجاه المنطقة العربية .
ففي حين لعبت بعض الدول الاوروبية دورا اساسيا في سياسات المنطقة منذ ما قبل الحرب العالمية الثانية باعتبارها الدول الاستعمارية

وهي تفترض أولوية ومركزية المشاكل الاوروبية على المشاكل غير الاوروبية . وما ان جاءت الحرب العالمية الثانية حتى أفرزت تغيرات جذرية في هيكل العلاقات الدولية على نحو ما لم تعد فيه اوروبا هي مركز العالم المسيطر (2). فقد كانت المنطقة العربية مسرحا هاما للتنافس بين القوى الاوروبية الكبرى (بريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا)، كما كانت الحرب العالمية الاولى نقطة تحول في شكل وطبيعة وتطور الوجود الاوروبي بصفة خاصة في المنطقة .

وتكفي الاشارة هنا الى أن كل دولة أوروبية كانت لها مصالحها الخاصة تجاه المنطقة العربية، وان المقترب الذاتي لكل منها كانت تحكمه اعتبارات التنافس الاستعماري، وهي اعتبارات دخلت في تشكيلها عدة عوامل سياسية واقتصادية واجتماعية داخلية، وعوامل جغرافية وأخرى اقليمية. ونبرز فيما يلي دور الدول الاستعمارية الكبرى في المنطقة العربية في تلك الفترة وهي بريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا .

<u>1 - بالنسبةلبريطانيا</u>

ان صلة بريطانيا بالمنطقة العربية قديمة وممتدة ، الا أن أهمية المنطقة لدى بريطانيا فاقت بكثير أهيمتها لدى القوى الاوروبية ، ففضلا عن أهميتها

---

(2) سمعان بطرس فرج الله ، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين ، الطبعة الثانية ، القاهرة 1980 ، الجزء الاول ، ص 11211 .

الذاتية كانت المنطقة تعد نقطة استراتيجية هامة للدفاع عن ممتلكات بريطانيا في الشرق وخاصة في شبه القارة الهندية ومعبرا هاما اليها . فقد كانت شبه القارة الهندية تعد محور ارتكاز السياسة العالمية البريطانية ، وبذلك اتسمت سياسة بريطانيا واهتماماتها بالعالمية وليس بالاقليمية ، وقد اثر ذك على مقتربها من المنطقة العربية حيث كانت تتحرك دائما في دائرة أوسع من الدائرة التي تتحرك فيها فرنسا وايطاليا (3).

ولقد كان احتلال بريطانيا لمصر عام 1882 علامة بارزة في تطور الوجود البريطاني في المنطقة العربية قبل الحرب العالمية الاولى، واستمر التنافس البريطاني - الفرنسي حول تدعيم النفوذ فيها حتى كانت "المقاصة الاستعمارية الشهيرة التي ترجمها الاتفاق الودي سنة 1904" (4) والذي بمقتضاه وافقت بريطانيا على اطلاق يد فرنسا في المغرب العربي مقابل اطلاق يدها في مصر والسودان .

أما منطقة الخليج فكانت لها أهميتها الحيوية بالنسبة لخطة بريطانية لمد نفوذها من الهند الى البحر المتوسط. وقد وقعت بريطانيا مع شيوخ الخليج معاهدات خاصة طوال القرن التاسع عشر ولكنها لم تقم أي مستعمرة او محمية فيها حتى الثلاثينات من القرن العشرين. فقد احتفظت منطقة الخليج بحكامها من الشيوخ والسلاطين.

وكانت هي الدولة الحامية الاساسية لهم ولهذا

---

(3) د . نادية مصطفى ، مرجع سبق ذكره ، ص 40 .

(4) نفس المرجع السابق ، ص 41 .

ولكنها نجحت في وضع بذرة في المنطقة العربية وهي اسرائيل التي اعطى انسحاب بريطانيا من فلسطين والغاء الانتداب عليها فرصة لاعلان مولدها.
ومن المعلوم ان بريطانيا وفرنسا والمانيا وايطاليا كانت متفقة فيما بينها على توطين اليهود في فلسطين منذ عام 1922. وهذه سمة تعد أحد المصادر الهامة لفهم السياسات المعاصرة لهذه الدول التي اثرت على مصير المنطقة منذ ذلك الحين. فقد أعطت بريطانيا وعد بلفور عام 1917، وقرر مجلس عصبة الامم انتدابها على فلسطين في يوليو (تموز) 1922 لتسهيل تنفيذ وعدها لليهود بانشاء دولة لهم في فلسطين، كما تم انتداب فرنسا على سوريا ولبنان، وبالرغم من ظهور اختلافات بين فرنسا وبريطانيا وايطاليا حول بدء تنفيذ نظام الانتداب ، الا ان شروط الانتداب كما وردت في قرار مجلس عصبة الامم ، كانت تعكس السياسة البريطانية على فلسطين .
وقد اشار القرار الى مسؤولية دول الانتداب في تطبيق وعد بلفور، ومن ثم فان الدول المتحالفة الرئيسية التي أصدرت هذا القرار كانت بموافقتها تعني الموافقة على السياسة البريطانية المشجعة لقيام وطن قومي لليهود في فلسطين (ديباجة القرار، المواد 2،4، 6، 7 و11) واضافة الى هذه الدول الثلاث، كان هناك بين أعضاء مجلس العصبة التسعة الذين اتخذوا قرارهم حول الانتداب على فلسطين بالاجماع دولة أوروبية رابعة من أعضاء الجماعة الاوروبية اليوم هي بلجيكا فضلا عن اسبانيا واليابان والصين والبرازيل .

2 - بالنسبة لفرنسا

كانت فرنسا قد حصلت على امتيازات دينية وتجارية في المنطقة العربية من السلطان العثماني سليمان الاول في النصف الاول من القرن السادس عشر. كما قامت بحملتها على مصر عام 1798 وهي حملة نابليون بونابرت محاولة توسيع النفوذ في مصر وبلاد الشام وذلك في عهد محمد علي وخلفاؤه.

بعد ذلك اتجهت فرنسا نحو شمال افريقيا واحتلت الجزائر عام 1831 وفرضت حمايتها على تونس عام 1881 وعلى المغرب عام 1908 م. ومنذ الربع الاخير من القرن التاسع عشر تركت فرنسا الباب مفتوحا أمام بريطانيا للسيطرة على الشرق العربي مقابل اطلاق يدها في المغرب العربي ولكنها ظلت تقوم بدورها الثقافي والتجاري والديني في الشام .

وكان الدور الفرنسي يركز على الطابع السياسي الثقافي الحضاري الا أنه لم يغفل الابعاد الاقتصادية في حين كان الدور البريطاني يتسم بالطابع الاقتصادي الذي يستجيب للمطامع الاستعمارية العالمية . وفي حين كانت بريطانيا تنظر الى المنطقة العربية كأداة من أدوات سياستها الاوروبية في مواجهة ألمانيا أو من أدوات سياستها العالمية الاستعمارية لتدعيم مواقفها الاستعمارية في مناطق أخرى، كانت فرنسا تنظر الى المنطقة العربية كغاية في حدّ ذاتها. وهنا يبرز أحد مصادر الاختلافات بين موقف بريطانيا وموقف

وتدعيمه مصلحة عظمى وحيوية في نظر فرنسا، ولهذا عارضت فرنسا التيارات الوحدوية العربية وخلال الحرب العالمية الثانية ونتيجة الهزيمة في والاحتلال، تراجعت فرنسا أمام بريطانيا في المنطقة على نحو أكبر بكثير مما حدث خلال وبعد الحرب العالمية الاولى. وانتهى الصدام بين فرنسا الحرة بقيادة ديغول وبين قوات بريطانيا في الشام لصالح بريطانيا التي كانت تساند التيارات الوطنية في سوريا حتى تضمن تعبئتها لمساندتها في الحرب ضد المانيا (8). وقد حمل ديغول معه هذه الذكرى السيئة عن بريطانيا التي ظلت معه بعد ذلك لسنوات وهو يحاول اعادة تأكيد النفوذ الفرنسي في المنطقة من جديد، ولكن بطريقة مختلفة كما سنرى .

3 - بالنسبة لألمانيا

خلال العقد الاخير من القرن التاسع عشر وحتى قبل اندلاع الحرب العالمية الاولى أخذت المانيا تتجه الى سياسة التوسع الاستعماري بعد أن ظلت طويلا تركز على التوازن الاوروبي (9). وكانت سياسة المانيا تجاه المنطقة العربية تهدف الى التحرك نحو النفط في الشرق العربي ونحو المعادن في افريقيا، وترتكز على تدعيم العلاقات مع الامبراطورية العثمانية. ولقد اثار هذا المحور اعتراضات شديدة في بريطانيا وفرنسا حيث كان هذا التوجه الالماني يهدف الى اقتسام جزء من المستعمرات، كما كان

---

(8) المرجع السابق ص 40 .

(9) سمعان بطرس فرج الله ، مرجع سبق ذكره ، ص 49-50 .

يهدف الى احباط الاتفاق الودي بين الدولتين، والذي تكون أساسا لاحتواء وعزل القوّة الالمانية الصاعدة. ولقد أدت العلاقات الالمانية - العثمانية الى تفجير العلاقات الالمانية - العربية وبخاصة خلال الحرب العالمية الاولى حيث كانت المطالب العربية للحصول على مزيد من اللامركزية قد وصلت الى أوجها. ومن ثم اتجهت الحركة العربية بقيادة الشريف حسين الى التحالف مع بريطانيا .

وفي فترة ما بين الحربين العالميتين وبعد أن قامت بريطانيا وفرنسا باقتسام ميراث الامبراطورية العثمانية في المنطقة وبعد اخلالها بوعود الاستقلال التي قدماها للحركة العربية خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها، حظيت سياسة ألمانيا النازية باستعداد العرب للتعامل معها في مواجهة هاتين الدولتين.

وعلى الرغم من وصول التجارة الالمانية مع البلدان العربية عام 1938، الى حجم لا بأس به، فان الجوانب السياسية، وليس الاقتصادية هي التي طغت على العلاقات العربية - الالمانية (10). وكان الاهتمام الاساسي للنازية هو دفع الحركة القومية العربية ضد بريطانيا وفرنسا. وقد ثبت ذلك من خلال اتصالات دائمة بين ألمانيا، وبين اللجنة العربية العليا في فلسطين برئاسة الحاج أمين الحسني، ولكن لم يحصل القوميون العرب من ألمانيا الا على مجرد وعود مؤقتة، اي ان الرايخ الثالث لم ينتهز الفرصة للمبادرة بسياسة عربية

---

(10) د ، ناديا مصطفى مرجع سبق ذكره ، ص 37

كبرى. ويحتمل ان الديبلوماسية الالمانية كانت تتصور ان المنطقة العربية تنتمي الى النفوذ الايطالي الحليف، لذا ترددت في أبداء الالتزام نحوها بصورة قوية، ولذا لم تقدم ألمانيا الا مساعدة ضئيلة لثوار العراق بقيادة رشيد عالي الكيلاني عام 1941، الامر الذي اثار ضيق المجاهدين العراقيين ضد بريطانيا، وفي مصر رفض الثوار الاحرار والضباط الوطنيون المشاركة في الحرب الى جانب بريطانيا بل كان هناك ترحيب باقتراب قوات رومل – الا ان هزائم المانيا في تونس والعلمين وستالينغراد (1942–1943) أدت الى القضاء على احتمال باق لتحرك المانيا الى المنطقة (11).

4 – بالنسبة لايطاليا

استغرقت ايطاليا في بناء دولتها الناشئة وتدعيم وحدتها في القرن التاسع عشر، وبعد أن تراجعت أمام النشاط الديبلوماسي والتجاري لكل من بريطانيا وفرنسا، بدأت عملية توسعها البحري في حوض البحر المتوسط واحتلالها ليبيا بصفة خاصة عام 1911. وكان الدافع وراء ذلك هو حماية وتدعيم أمن الدولة الايطالية من ناحية ، واستجابة لحل مشاكل الجنوب الايطالي الفقير من ناحية أخرى .

وبعد الحرب العالمية الاولى عادت ايطاليا سياسيا الى المنطقة مع الفاشية منذ عام 1922. فلقد احدث النظام الايطالي الجديد انطباعا ايجابيا لدى بعض

---

(11) سمعان بطرس فرج الله ، مرجع سبق ذكره ، ص 456–458 .

الدوائر التي نظرت اليه كبديل ممكن للبرلمانية البريطانية والفرنسية. وفي نفس الوقت تبنت ايطاليا الفاشية خطأ هجومياً تجاه المنطقة لتحقيق مطامع كبرى. فقد ارادت حماية مصالحها الاستعمارية في شرق افريقيا ومصالحها التجارية مع دول المتوسط. كما ارادت قطع الامتداد الفعلي للمستعمرات البريطانية والفرنسية وان تنال من النفوذ البريطاني والفرنسي في المنطقة. ولهذا، وبالرغم من اطماعها التوسعية الاستعمارية التي كانت تسعى لتحقيقها ، اكتسبت مساندة بعض الاوساط العربية التي رحبت بعدائها لبريطانيا وفرنسا. وهكذا نجحت الدبلوماسية الايطالية في اخفاء اطماعها الحقيقية لفترة طويلة. ولهذا وبالرغم من معارضة الليبيين للامبريالية الايطالية، وجدت ايطاليا في شخص شكيب ارسلان من يساند موسوليني على اعتبار انه القادر على مساعدة ليبيا في الكفاح ضد الاحتلال البريطاني والفرنسي. كذلك حين احتلت ايطاليا اثيوبيا عام 1936 لم تجد العديد من الاوساط العربية في هذه العملية تعبيرا عن الاطماع الامبريالية، ولكن مجرد استخدام ايجابي للقوة ضد دولة افريقية تثور الشكوك حولها لاضطهادها المسلمين (12) .

ومع اندلاع الحرب العالمية الثانية التي اشتركت فيها ايطاليا الفاشية مع المانيا النازية، وبالرغم من اقتناع الاخيرة بالنيات التوسعية الايطالية، الا انها فضلت التخلي عنها للحفاظ على مشاعر التعاطف

---

(12) د ، ناديا مصطفى ، مرجع سبق ذكره ، ص35.

العربي. ولكن معركة العلمين عام 1942 أنهت هذه الحسابات. وبالرغم من الهزيمة فلقد ظل لايطاليا مكانها في المنطقة كما سنرى .

ثانيا : منذ عام 1945 حتى عام 1967

بعد انتهاء الحرب العالمية الثانية بدأت مرحلة انتقالية سادها القلق حول مصير توازن وتوزيع القوى والادوار الخارجية في المنطقة (13) .

في اتفاقية يالطا (فبراير (شباط) 1945) وفي المرحلة الختامية للحرب العالمية الثانية أصبح من المؤكد ان ألمانيا واليابان لم يستمرا في القتال وان جبهة الحلفاء اي الولايات المتحدة وانجلترا ثم الاتحاد السوفياتي وكذلك الصين الى حد بعيد على ابواب النصر ويمكن أن يحدث نوع من التوازن يحدد الاطار العام للنظام العالمي في ذلك الوقت ضمن المكونات التالية .

1 - كان الحلف بين الحلفاء المنتصرين في الحرب العالمية الثانية يمثل التقاء المصالح في الدفاع عن الذات أمام محاولة ألمانيا في الأساس ومعها ايطاليا في المقام الثاني من ناحية السيطرة على القارة الاوروبية ومستعمراتها ، وأمام محاولة اليابان من ناحية ثانية السيطرة على المحيط الهادي وشرق وجنوب شرق آسيا ، ولكنه كان التقاء مرحليا دون جذور تاريخية ثابتة. والجدير بالذكر ان معظم الدول الاوروبية كانت قد تحالفت لشن حروب التدخل ضد الدولة السوفياتية الفتية بين عامي

---

(13) حامد ربيع ، مرجع سبق ذكره ، ص 33-34

1919 و1923. ومعنى ذلك ان الحلفاء المنتصرين باسم الديمقراطية ومعاداة الفاشية كانوا في واقع الامر اعداء الامس ولم تجتمع كلمتهم الا مرحليا من أجل صد عدوان متشعب ضد مصالحهم الرئيسية ابتداء من مرحلة ما بعد الازمة الاقتصادية الكبرى (1919-1932) (14) .

2 - ان تحول الولايات المتحدة الامريكية الى القارة الاوروبية من اتفاقية يالطا الى تكوين حلف الاطلنطي جاء نتيجة عدة عوامل وعدد كبير من الازمات الميدانية تتمثل فيما يلي :

أ - امتلاك الولايات المتحدة الامريكية سلاحا جديدا هو القنبلة الذرية .

ب - ان التفوق الهائل للولايات المتحدة من حيث الامكانات الاقتصادية دفع بدول اوروبا التي خربتها الحرب الى الاستفادة منه. ومن هنا جاء مشروع مارشال عام 1947 الذي رحبت به دول اوروبا الغربية بينما رفضه الاتحاد السوفياتي تفاديا لشروط التفتيش والمراقبة المواكبة لاعادة تعمير الاقتصاد ومرافق العمران .

ج - ترتب على التفوق الحربي الميداني الضخم الذي أحرزه الجيش الاحمر السوفياتي في أوروبا حدوث توسع مماثل في تحديد المناطق التابعة لكل من الاتحاد السوفياتي شرقا في اوروبا والولايات المتحدة في غرب القارة. وقد وافق الاتحاد السوفياتي وبريطانيا في غياب روزفلت في

---

(14) د . أنور عبد الملك ، تغيير العالم ، كتاب عالم المعرفة ، الكويت نوفمبر 1985 ، ص 25 .

موسكو في شهر أكتوبر 1944على نسب محددة لمناطق النفوذ وذلك بأن يكون للاتحاد السوفياتي 90 في المائة من النفوذ في رومانيا و80 في المائة في بلغاريا وهنفاريا و50 في المائة في يوغسلافيا و10في المائة في اليونان، (15) وقد تحول الامر بسرعة بحيث سيطر الاتحاد السوفياتي على رومانيا بينما استأثرت بريطانيا باليونان وافلتت يوغسلافيا بقرار شجاع من الرئيس تيتو وصحبه آنذاك، واتخذت لنفسها موقف الحياد في عام 1948 وهو الموقف الذي سرعان ما لقي صدى ودعما قويا من نهرو في الهند وجمال عبد الناصر في مصر الثورة .

د - وفي جو عدم الانسجام الغربي ، وكذا تصعيد ارادة القوة الامريكية في عهد الرئيس ترومان، قرر الاتحاد السوفياتي ان يحيط نفسه بمنطقة دفاعية من الدول الحليفة تمنع تكرار اختراق حدوده على غرار ما حدث في يونيه (حزيران) عام 1941 على أيدي جحافل هتلر .

وهكذا جاء انشاء حلف الاطلنطي بعد اعلان نظرية ترومان وخطبة تشرشل في "فولتون" ليؤكد دور امريكا القيادي بالنسبة لجبهة حلفائها من دول غرب اوروبا الرأسمالية تحت حماية المظلة النووية وذلك في مقابل المنطقة الوسطى والشرقية التي أصبحت فعلا دائرة نفوذ سوفياتية، وهي التي شكلت فيما بعد حلف وارسو عام 1955 .

---

(15) المرجع السابق ، ص 28 .

3 – اذن لم تمر سنتان على انتهاء الحرب العالمية الثانية حتى انشقت جبهة الحلفاء الى طرفين نقيضين على أساس ميداني سياسي استراتيجي من ناحية واساس ايديولوجي يرتكز على تباين النظامين الاقتصاديين في العالم الغربي من ناحية أخرى .
ومع ذلك لم يشعر العالم انذاك ان الحرب في آسيا والمحيط الهادي يمكن أن تمثل عاملا جديدا في ميزان القوى العالمي على الرغم من شراسة الضربة اليابانية في بيرل هاربر والمعارك الضارية بين القوات البريطانية واليابانية في شرق آسيا (بورما والملايو – ماليزيا حاليا) فقد ظهرت اليابان والصين كقوتين لهما وزنهما السياسي والمؤثر الى حد ما في السياسة العالمية كما سنرى .
وهناك دائرة حضارية ثانية في الشرق المعاصر هي الدائرة الاسيوية الافريقية الاسلامية والتي كانت على اتصال وثيق مع شبه القارة الهندية. وظلت هذه الدائرة الحضارية أقل هامشية من منطقة آسيا والمحيط الهادي. ذلك ان توغل جيوش المانيا بقيادة رومل حتى العلمين عام 1942، ثم اندلاع حركات وثورات التحرير في العالم العربي ، وتحرك الهند بقيادة المهاتما غاندي والصراع البريطاني السوفياتي حول اذربيجان.في نهاية الحرب ...كل هذه العوامل من شانه ان جعل هذا الميدان عنصرا مواكبا للميدان الاوروبي (16) اي أن

---

(16) المرجع السابق ، ص 31 .

امكان تحركه المستقل ثم تأثيره فيما تبقى من المناطق التابعة في آسيا ثم في عموم القارة الافريقية لم يكن في الحسبان .

وهكذا ومنذ مطلع الخمسينات برز وجود مركزين للقوة والتأثير والفاعلية في العالم : الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي فقد كان لهما تأثير بارز حيث أن في امكان كل منهما ان تحدث تغييرات هامةفي قطاعات أو في مستويات ثانية في العالم كما حدث بالفعل فيما بعد في افغانستان وجرينادا وانجولا وموزمبيق وفي تغيير مصادر التسليح في الشرق الاوسط، وكذا العمل على احداث تغييرات اتجاهية هامة في سياسات العديد من الدول الوسطى والصغيرة، غالبا في اتجاه الغرب لاسباب اقتصادية .

ويمكن القول ان السياسة الدولية ابرزت ان كافة مناطق النزاع والخلاف الرئيسية في العالم تظل تتفجر في حروب محلية وكأن لا وجهة لها بشكل يثير الدهشة، الشرق الاوسط، جنوب افريقيا، القرن الافريقي، امريكا الوسطى، جنوب غرب اسيا من افغانستان حتى الخليج العربي، جنوب شرق آسيا (فيتنام - كمبوديا - لاوس) ثم شمال شرق آسيا (كوريا) وتستمر الحروب في حركة متصلة من التأجج ثم الخمود المرحلي دون حسم. فالحسم سوف يمس ميزان القوى المركزي في قلب النظام العالمي. لا مانع اذن من الاستمرار في تفجير التناقضات في هذه المناطق، مادام الامر يتم في نطاق الحفاظ على اركان النظام العالمي .

ومن ناحية أخرى ، فلا يمكن أن تتم التسوية

الجذرية لهذه التناقضات مادام النظام العالمي الحالي قائما كما هو دون تغيير. ولعل الاستثناء الوحيد هو مشكلة كوريا بفضل تشابك مصالح كل من الدولتين الكوريتين أولا ثم الصين والاتحاد السوفياتي واليابان بشكل قد يؤدي الى تقارب الدولتين الكوريتين نحو الوحدة .

وفي تلك الفترة برز عدد من الدول الوسيطة يرغب في تغيير النظام العالمي. وكانت بدايات حركة الحياد ثم الحياد الايجابي ومن هنا بدأت حركة التضامن الاسيوي التي أصبحت حركة تضامن شعوب آسيا وافريقيا ابتداء من مؤتمر باندونج ابريل (نيسان) 1955، وانبثقت حركة عدم الانحياز وتكوين مجموعة دول عدم الانحياز. ومن هنا نبعث الحملات ثم المشاريع المحدودة، للحدّ من سباق التسلح النووي، واقامة مناطق منزوعة من السلاح النووي وخفض مستوى التسلح ومنع تصنيع وحيازه الاسلحة النووية .

فيما سبق تعرضنا للسياسة الدولية والتطورات العالمية. أما فيما يتعلق بدور هذه السياسة الدولية في المنطقة العربية. فقد كانت لعبة القوى في المنطقة العربية حتى عام 1956 على الاقل هي لعبة العداوة بين الدول الاوروبية الكبرى التي تسعى للحفاظ على نفوذها. ولم تبدأ القوتان الاعظم وبخاصة الاتحاد السوفياتي تورطها الحقيقي الا منذ النصف الثاني من الخمسينات. ولم يعد ممكنا بعد عام 1956 اهمال دورها وسياساتها من ناحية، كما أتضح من ناحية أخرى بداية التراجع الفعلي للوزن السياسي الاوروبي. ولكن ظل للقوى الاوروبية

وبخاصة بريطانيا وفرنسا وجودهما المحدود في المنطقة بسبب الميراث الاستعماري التقليدي ومحاولات تصفيته (الجزائر - الخليج - احداث لبنان والاردن والعراق عام 1958) بسبب انشاء ومساندة اسرائيل - اشتراك بريطانيا وفرنسا مع اسرائيل في حرب 1956وسبب تفجر أهمية النفط. ولقد تركت هذه القضايا الثلاث بصماتها واضحة على تطوير العلاقات الدولية مع المنطقة العربية منذ نهاية الحرب العالمية الثانية وحتى الآن، اذ اضحت الاهتمامات الاساسية للدول الاوروبية التي حاولت الحفاظ على دورها في المنطقة ، بعد تصفية مستعمراتها ذات طبيعة استراتيجية نظرا للارتباط بين أمن أوروبا، وأمن المنطقة جنوبها، وذات طبيعة اقتصادية، هذا فضلا عن الحفاظ على أمن وبقاء اسرائيل .

حقيقة كان اتجاه الرئيس الفرنسي ديغول نحو المنطقة العربية يعكس تصوره الشامل عن السياسة العالمية وعن وضع فرنسا فيها ، ولكن هذا التصور لم يكن يمثل الا مرحلة من مراحل تطور السياسة الفرنسية التي عادت بعد ديغول الى نغمتها المعتدلة فيما يتعلق بالمطالبة بدور عالمي مستقل .

ولهذا فان المصالح الاوروبية بعد الحرب العالمية الثانية هي في الأساس مصالح اقتصادية بالدرجة الاولى ثم ثقافية بينما تهتم الولايات المتحدة الامريكية والاتحاد السوفياتي بمصالحها السياسية في الدرجة الأولى ثم مصالح غير سياسية ثانية. وهذه المصالح السياسية ترتبط بمصير المواجهة الشاملة بينها حيث تعد المنطقة العربية عنصرا من

عناصر الاستراتيجية العالمية. ولهذا تبدو الدول الاوروبية نظرا لقلة تورطها السياسي المباشر بالمقارنة بالقوتين الاعظم، أمام البلدان العربية بديلا ثالثا للتعاون الاقتصادي والثقافي قد يخفف من اعباء التبعية للقوتين الاعظم .

ونظرا لدور بريطانيا وفرنسا الفاعل في حرب 1956 ثم تدخل الاتحاد السوفياتي بانذاره الشهير وكذا الولايات المتحدة الامريكية فيجدر بنا ان نبرز دور هذه الدول وتوجهاتها فيما يلي :

1 - بريطانيا : برزت طبيعة الاهتمامات البريطانية ودرجة تورطها في المنطقة العربية منذ الحرب العالمية الثانية في ضوء قضايا تصفية الميراث الاستعماري ، وفي ضوء موقفها من فكرة الوحدة العربية وكذا في ضوء موقفها من الصراع العربي الاسرائيلي مع توالي تصفية الاستعمار : الثورة المصرية واتفاقية الجلاء، استقلال السودان، حرب السويس، استقلال اليمن الديمقراطية، انهاء الحماية عن الخليج ، اخذ الوجود البريطاني يتقلص في المنطقة تدريجيا .

وليس هنا بالطبع مجال الدراسة التفصيلية لهذه العمليات، ولكن تكفي الاشارة الى سمتين عامتين للتوجه البريطاني الذي ارتبط الى حدّ كبير بنمط السياسات العربية في ظل تأثير السياسات المصرية - العربية منذ ثورة يوليه (تموز) 1952، كما تأثر بنمط تورط القوتين الاعظم من ناحية أخرى، وبتطورات الصراع العربي - الاسرائيلي من ناحية ثالثة - السمة الاولى : ان بريطانيا تبنت خطأ جديدا يقوم على تطويع القيادات المحلية من

منطلق امتصاص موجة الوحدة العربية. وبعبارة اخرى اتجهت بريطانيا الى مساندة الاوضاع القائمة وشجعت قيام جامعة الدول العربية حيث وجدت فيها اداة ناجحة لتحقيق هدفين : امتصاص موجة التطور الجماهيري نحو تحقيق وحدة حقيقية، وخلق اداة تسمح بحماية الوضع القائم الذي يكرس التجزئة. وقد وجد هذا المنطق البريطاني جذوره منذ بداية القرن العشرين من خلال الحوار مع الثورة العربية الكبرى .(17)

السمة الثانية : مع بداية تقلص وجودها الاستعماري التقليدي تحولت بريطانيا من نظام الاتفاقيات الثنائية للدفاع الى الاتفاقات الجماعية في اطار المشروعات العربية لتنظيم الدفاع عن المنطقة (18) ومن هنا بدأ يظهر ارتباط السياسات البريطانية بسياسات الولايات المتحدة في المنطقة، الامر الذي تسبّب في التصادم مع السياسة المصرية خلال الخمسينات .

---

(17) حامد ربيع ، مرجع سبق ذكره ، ص 33–34 .
حامد ربيع ، نظرية الامن القومي العربي ، بيروت ، 1984 ، ص 113 .

(18) للتوسع انظر : علي الدين هلال وجميل مطر ، النظام الاقليمي العربي : دراسة في العلاقات السياسية العربية ، بيروت 1979 ، ص 59–76 .
أحمد عبد الرحيم مصطفى ، العلاقات المصرية البريطانية 1936-1956 القاهرة
ارسكين تشايلدرز ، الطريق الى السويس ، ترجمة خيري حماد القاهرة 1962 .

لقد ربط عبد الناصر بين الرغبة في تدعيم استقلال سياسة مصر الخارجية، وبين سياستها العربية، فاعتقد في ضرورة امتداد نفوذ مصر وفي العمل على احتواء وتقييد نفوذ بعض الاقطار العربية كسبيل لاقامة خط الدفاع الاول ضد بريطانيا وغيرها من القوى الخارجية التي تسعى الى تقييد استقلال مصر .

وتجدر الاشارة هنا الى رغبة الولايات المتحدة الامريكية خلال تلك الفترة في انشاء خط دفاعي عربي في المنطقة لاحتواء الشيوعية. الا أن مصر كانت ترفض في ذلك الوقت انضمام مصر لأي حلف من تلك الاحلاف حرصا على تأكيد استقلالها وكان عليها ان تتحرك ايضا للحيلولة دون انضمام البلدان العربية الاخرى الى الاحلاف الغربية. ومن هنا حملت مصر على حلف بغداد بين تركيا والعراق والذي انضمت اليه بريطانيا ورحبت به الولايات المتحدة الامريكية .

وهكذا التقت عند هذا الحلف المشروعات البريطانية والامريكية بعد طول اختلاف حول كيفية تنظيم الدفاع عن المنطقة العربية. فبريطانيا كانت حريصة على الحفاظ على ما بقي لها من نفوذ في الوطن العربي، أما الولايات المتحدة الامريكية فظلت تترك لبريطانيا وفرنسا زمام التورط المباشر في المنطقة، وذلك ليس حبا في هاتين الدولتين ولكن تحت ضغط المواجهة العالمية مع الاتحاد السوفياتي في مناطق أخرى .

ومع بداية التورط السوفياتي الفعلي في المنطقة اخذت الولايات المتحدة في التخلص من نفوذ

الدولتين الاستعماريتين التقليديتين اعتمادا منها ان تدعيم النظم الوطنية الحديثة بعد تخلصها من الاستعمار أمر ضروري لمواجهة الشيوعية. وكان ذلك قد برز بوضوح بعد حرب السويس عام 1956.
ولا يتسع المجال هنا للخوض في تفاصيل حرب السويس الا انه من المهم الاشارة الى أن الغرب رفض امداد مصر بالسلاح بحجة الحفاظ على التوازن العسكري في المنطقة، كما ان الولايات المتحدة نددت بسياسة الحياد الايجابي التي بدأت ملامحها مع مؤتمر باندونغ عام 1955 بينما رحب بها الاتحاد السوفياتي بعد موت ستالين مما حدا بعبد الناصر ان يعقد صفقة السلاح التشيكية لمصر عام 1955. وهنا بدأت الاتهامات البريطانية والامريكية لسياسة عبد الناصر وتوالت محاولات تضييق الخناق عليه حتى تم سحب تمويل انشاء السد العالي ثم جاء قرار تأميم قناة السويس وبعدها جاء العدوان الثلاثي البريطاني الفرنسي الاسرائيلي على مصر وقطاع غزة عام 1956 .
وكان هدف بريطانيا هو اسقاط نظام عبد الناصر الذي رأت فيه شخصا يقف في مواجهة السياسة البريطانية والغربية بصفة عامة وكانت تخطط لدفع نورى السعيد حاكم العراق الى وضع الصدارة حتى يجذب باقي البلدان العربية الى نطاق المشروعات الغربية لتنظيم الدفاع عن المنطقة .
وبسبب دخولها الحرب فقد أدى ذلك الى انهيار ما تبقى لها من نفوذ في المنطقة وتعرضت مصالحها التجارية والاقتصادية للخطر، وكان ردّ الفعل العربي قويا حتى أن السعودية أوقفت ضخ النفط

للناقلات الفرنسية والبريطانية، وتمّ نسف محطة شركة النفط العراقية في سوريا كما عانت الدول الاوروبية من اغلاق قناة السويس حتى تمّ تطهيرها واعادة فتحها للملاحة من جديد في شهر اذار (مارس) 1957 .

وفي نهاية الستينات وبداية السبعينات انحصر الوجود السياسي البريطاني في عدن وفي الخليج. وكان على بريطانيا التزامات عديدة تجاه حماية الامارات في هذه المنطقة بمقتضى كونها محميات بريطانية. وحصلت الكويت على استقلالها عام 1961 ولعبت بريطانيا دورا مساندا للكويت خلال ازمتها مع نظام عبد الكريم قاسم في العراق. وحصلت عدة مشاكل بين بريطانيا وعدن بعد ثورة اليمن على الامام في ايلول (سبتمبر) 1962، وحصلت اليمن على استقلالها عام 1968 ثم انسحبت بريطانيا من منطقة الخليج عام 1971 .

2 - فرنسا : هناك عدة عوامل بارزة في سياسة فرنسا تجاه المنطقة العربية في تلك الفترة، فقد ساهمت فرنسا في خلق اسرائيل والاعتراف بها، ووقعت مع بريطانيا والولايات المتحدة على البيان الثلاثي عام 1950، الذي تلتزم الدول الثلاث بمقتضاه بحماية أمن ووجود اسرائيل وكانت فرنسا هي المصدر الاساسي للسلاح الاسرائيلي، وساعدت برنامج الابحاث النووية الاسرائيلية حيث تمّ بناء أول مفاعل نووي اسرائيلي في ديمونا في صحراء النقب بمساعدة فرنسية أساسية. واشتركت في العدوان الثلاثي مع بريطانيا واسرائيل على مصر وقطاع غزة عام 1956 .

لكل هذه الاسباب وغيرها إنهار وضع فرنسا السياسي في المنطقة العربية شرقيها وغربيها، فقد فقدت سوريا ولبنان ولقيت صعوبات شديدة في شمال افريقيا وبخاصة بعد اندلاع الثورة الجزائرية. وساندت مصر بقوة ثورة الجزائر، كما كان المناخ الدولي دفع بدوره الى تحالف عضوي بين فرنسا واسرائيل على حساب العرب. ففي تلك الفترة اشتد التنافس بين القوتين الاعظم ولم تسطع الولايات المتحدة ان تكون القوة الغربية الوحيدة المساندة لاسرائيل. وكانت فرنسا تعد في ذلك الوقت أكثر الدول الغربية ملائمة للقيام بهذه المهمة بسبب عدائها لمصر من جراء مساندتها للثورة الجزائرية، وبسبب العلاقات الخاصة بين الولايات المتحدة والجمهورية الفرنسية الرابعة .

وكان اشتراك فرنسا في العدوان الثلاثي على مصر عام 1956 المحصلة الكبرى لنتائج هذه الاعتبارات مجتمعة . (19)

ومنذ عام 1958 ورجوع ديغول الى السلطة ومع بداية الجمهورية الخامسة بدأت مرحلة جديدة في العلاقات العربية الفرنسية ولكن لم يحدث التغير في السياسة الفرنسية تجاه الوطن العربي بسرعة وبشدة بل مرت بتطورات قادتها تدريجيا نحو التقارب مع العرب، حتى افصحت تماما عن وجه جديد مع احداث آيار (مايو) - حزيران (جوان) 1967 .

وجاء التطور في سياسة فرنسا تجاه المنطقة

---

(19) نادية مصطفى ، مرجع سبق ذكره ، ص 59 .

العربية بسبب الوضع المميز للمنطقة بين مناطق العالم الثالث . وكانت سياسة ديغول تهدف الى تعبئة مساندة دول العالم الثالث للدور الفرنسي في السياسات الاقليمية في مواجهة انفراد القوتين الاعظم بالسيطرة والهيمنة على هذه السياسات - ومع عام 1962، وبعد استقلال الجزائر ظهرت درجة أكبر من الاتجاه نحو التقارب مع العرب. وذلك لأن فرنسا حرصت على حماية مستقبل العلاقات مع بلدان المغرب العربي بعد استقلالها. وكان ذلك يفترض تحسين العلاقات مع باقي الدول العربية . وساعد على ذلك استعداد هذه البلدان للتقارب مع فرنسا. فبعد أزمة كوبا تخوفت الاقطار العربية من عواقب بداية التقارب بين القوتين الاعظم واخذت في البحث عن مصادر جديدة للمناورة. ووجدت في فرنسا - التي رفعت شعار الاستقلال عن سياسات الكتل - الهدف المنشود. وقد استندت جهود فرنسا للتقارب مع العرب في هذه الفترة (1962-1965) الى ما عرف بتقرير جانينى (20) الذي صدر عام 1963.

ومنذ سنة 1965 بدأ التقارب الحقيقي مع العرب وبخاصة مصر حيث زار المشير عبد الحكيم عامر باريس في شهر أكتوبر (تشرين الاول) 1965 وذلك بعد عودة العلاقات الديبلوماسية بين الدولتين عام 1963، وبعد ذلك توالت مظاهر التقارب بين البلدين

---

(20) نادية مصطفى ، مرجع سبق ذكره ، ص 62 .
جانينى : وزير فرنسي أوكل اليه ديغول مهمة دراسة سياسة تعاون فرنسا مع العالم الثالث وصدر تقريره عام 1963.

على الصعيدين الاقتصادي والثقافي أساسا .
وكانت العلاقات الدبلوماسية بين فرنسا وكل من سوريا والاردن والسعودية قد عادت عام 1962، ومع العراق عام 1963. وتبع ذلك تنوع مظاهر الوجود الفرنسي في المنطقة (بيع طائرات فرنسية لسورية والاردن ، شراء لبنان لبعض طائرات الميراج الفرنسية ، قيام مؤسسات فرنسية بتوسيع مطارات دمشق وبيروت) وفي المقابل لم يقم أي مسؤول فرنسي بزيارة اسرائيل منذ عام 1963 حتى عام 1966 .
وخلاصة القول أن فرنسا منذ عام 1966 بدأت تنظر لمصلحتها مع العرب وانهار التوازن بين الصداقة مع اسرائيل. وكانت حرب 1967 نقطة التحول التي افصحت معها السياسة الفرنسية عن وجهها الجديد في المنطقة العربية الذي تحولت معه اسرائيل من الحليف الاول لفرنسا في المنطقة، الى هدف أساسي لسياسة ديغول في المحيط الدولي والمصالح الفرنسية في المنطقة العربية، وهي المصالح الاقتصادية (التجارة + النفط)، والسياسية ايضا (النفوذ والمكانة والدور المستقل كقوة ثالثة في المنطقة الى جانب القوتين الاعظم) .(21)
ولقد لعبت فرنسا دورا أساسيا أيضا لتعبئة موقف جماعي أوروبي في المنطقة العربية، كما سنرى .
3 - <u>ألمانيا الغربية :</u> قامت ألمانيا الغربية بامداد مصر بالخبراء ولم تشارك في انشاء دولة

---

(21) نفس المرجع السابق ، ص 64 .

اسرائيل أو في أي مشروعات غربية لتنظيم الدفاع عن المنطقة أو في حرب السويس 1956 الا أنها فشلت في ارساء أساس لسياستها في المنطقة يتفق وظروفها الخاصة. وقد واجهت صعوبات كثيرة ثارت في وجه علاقتها بالبلدان العربية من جراء عدة قضايا أهمها : قضية التعويضات لاسرائيل ، وقضية الاعتراف الدبلوماسي باسرائيل ، وقضية نشاط العلماء في مصر، الى أن كانت ازمة قطع الاقطار العربية لعلاقاتها مع ألمانيا عام 1965 بسبب صفقة الاسلحة الالمانية لاسرائيل. وبعد أن تكشفت أبعاد المساعدات العسكرية الالمانية لاسرائيل دخلت العلاقات العربية - الالمانية مرحلة تأزم شديدة الى أن تفاقمت ازمة هذه العلاقات عام 1969 حين أقامت كل من مصر وسوريا والعراق والسودان واليمن الديمقراطية علاقات دبلوماسية مع المانيا الشرقية، واستمر المغرب وتونس وليبيا في علاقاتهم مع المانيا الغربية نظرا لضخامة المساعدات التي كانت هذه البلدان تحصل عليها .

وفي المقابل تطورت العلاقات الالمانية - الاسرائيلية في كل المجالات وخاصة في مجال التسليح .

4 - ايطاليا : في تلك الفترة احجمت ايطاليا عن المشاركة في أية مشروعات اوروبية لتنظيم الدفاع الغربي عن الشرق الاوسط. اضافة الى انها أول دولة اوروبية أجبرت على تصفية الاستعمار بعد الحرب العالمية الثانية ، كما انها لم تشارك في الخطوات التي اتخذتها الدول الكبرى والتي أدت الى انشاء اسرائيل. ومع انها منذ البداية غير

راغبة أو غير قادرة على تأكيد وجود سياسي مباشر في المنطقة الا انها ظلت في نظر العرب شريكا اقتصاديا فعالا .

5 - الولايات المتحدة الامريكية : تحت ضغط متطلبات المواجهة العالمية مع الاتحاد السوفياتي في مناطق متعددة ومع الخوف من الشيوعية، بدأت الولايات المتحدة الامريكية تتحرك في تنفيذ سياستها تجاه المنطقة العربية. فرأت أولا التخلص من نفوذ فرنسا وبريطانيا وذلك بتدعيم النظم الوطنية الحديثة ظنا منها أن ذلك أمر ضروري لمواجهة الشيوعية .

ومع بداية التورط السوفياتي الفعلي في المنطقة وحرب السويس عام 1956 بدأت الولايات المتحدة مرحلة تحرك جديد في المنطقة لسد الفراغ الناجم عن تراجع الدور البريطاني والفرنسي . وكان مشروع ايزنهاور في كانون الثاني (جانفي) 1957 . وتجلى الدور الامريكي البريطاني في معارضة الوحدة المصرية السورية عام 1958 وحتى سقوطها ، والدور الامريكي البريطاني في احداث الاردن ولبنان عام 1958. ومع ذلك فان التحرك الامريكي البريطاني في تلك الفترة كان محدود الاثر على سياسات المنطقة بسبب تيارات القومية العربية الطموحة التي كانت تزخر بها المنطقة في تلك الفترة .

ثالثا : منذ عام 1967 حتى العام 1973

في هذه الفترة كانت المنطقة العربية قد فتحت أبوابها لتنافس القوتين الاعظم في الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، والتي كانت تجتاحها في تلك

الفترة أي حتى عام 1967 حرب باردة مزقت الارادة العربية (22) . ثم جاءت حرب يونيو (حزيران) 1967، وأبرزت حيوية المصالح الدولية الاستراتيجية والاقتصادية في المنطقة ، وبخاصة في ضوء اثار اغلاق قناة السويس وانعكاساتها الضارة على الاقتصاد العالمي بصفة عامة والاوروبي بصفة خاصة ، وفي ضوء اثار تزايد الوجود السوفياتي في حوض البحر المتوسط الذي فجر المناقشات حول المشكلة التي تهدد اوروبا وتهدد التحالف الغربي في المنطقة .(23)

ومن ثم بدأ العالم وخاصة الاوروبي يشعر بأنه لا بدّ من اتباع سياسة التدخل في مشكلة الشرق الاوسط وعلى اوروبا ان تجد طريقها المتميز والمستقل في التعامل مع الوطن العربي (24) وجاءت نقطة البداية في تحول مسلك الجماعة الاوروبية تجاه المنطقة العربية مع بيان ايار (مايو) 1971 الذي يعد أول وثيقة حول الموقف الجماعي الاوروبي تجاه الصراع العربي – الاسرائيلي .

ان المجموعة الاوروبية كانت تنظر بعين للمنطقة العربية وبالعين الاخرى لاسرائيل وارست أسسا لسياسة متوسطية شاملة تربطها بالبلدان العربيةوباسرائيل عن طريق مجموعة من

---

(22) حامد ربيع ، التعريف بالمضمون السياسي للحوار العربي الاوروبي ، القاهرة ، معهد البحوث والدراسات العربية 1979 ، ص 10-11 .

(23) ناديا مصطفى ، مرجع سبق ذكره ، ص 66 .

(24) نفس المرجع السابق .

الاتفاقياتالتفضيلية بدأ تطبيقها عام 1972 .
وجاءت حرب أكتوبر 1973 لتؤكد مرة أخرى مدى اهتمام دول العالم وخاصة الدول الاوروبية بالمنطقة العربية حيث أكدت هذه الحربْ العلاقة بين أمن أوروبا بمختلف ابعاده وبين استقرار المنطقة. وجاءت حرب النفط مساندة للعمليات العسكرية وتصاعدت العوامل التي تربط بين الصراع العربي - الاسرائيلي وبين السوق النفطي على نحو وجدت معه أوروبا نفسها عام 1973 بين اتجاهين متناقضين : ضعف قدراتها على التأثير على احداث المنطقة وتزايد اعتمادها على نفط المنطقة. ولهذا اضحى على اوروبا ضرورة الاستناد الى مواقف سياسية واضحة وذلك لتأمين وارداتها النفطية بعد ان تأكد لها عدم كفاية اتخاذ المواقف الاقتصادية لتأمين تلك الواردات. وبعد ان تبين اثر الارتباط بين ابعاد أمن اوروبا الاقتصادي وبين تطورات المواجهة العربية الاسرائيلية على مسلك اوروبا تجاه الصراع. بدأت اوروبا تحاول المشاركة في عملية البحث عن تسوية سلمية من ناحية، وفي عملية تنمية المنطقة من ناحية أخرى . (25)
وجاءت صور تلك المشاركة على الصعيد السياسي متمثلة في البيانات المشتركة حول الشرق الاوسط الصادرة عن اجتماعات التعاون السياسي على مستويات متعددة لرؤساء الدول والحكومات او وزراء الخارجية تحدد موقف الجماعة الاوروبية من مضمون التسوية المرتقبة للصراع العربي -

---

(25) المرجع السابق ، ص 68 .

الاسرائيلي وشكل هذه التسوية والاطراف المشتركة في التفاوض حولها .
وجاء الحوار العربي الاوروبي ليؤكد فصل المشاكل الاقتصادية عن الصراع العربي الاسرائيلي وذلك بأن يكون الحوار وسيلة لاقامة نوع من التعاون طويل الاجل بينها وبين المنطقة العربية يستند الى علاقة الاعتماد المتبادل بينهما. وتلك كانت الرؤية الاوروبية للحوار حيث تعطي الاولوية للابعاد الاقتصادية، بينما كانت الرؤية العربية تطالب بتسييس الحوار وذلك بأن تعطي الاولوية للابعاد السياسية المتصلة بالصراع العربي الاسرائيلي .
ولا نريد الخوض بتفاصيل السياسة الاوروبية تجاه الصراع العربي - الاسرائيلي خلال تلك الفترة ولكن نريد التأكيد على ان الولايات المتحدة الامريكية عارضت مبادرة الدول الاوروبية حيث اكدت تأييد الحل الشامل حيث انها كانت تدير مبادرة التسوية الجزئية. كما ان أزمة الدولار في اب (اغسطس) 1971 جسدت ازمة العلاقات الاوروبية الاطلسية وهكذا وجدت الولايات المتحدة ان بيان الجماعة الاوروبية يبين موقفا لها يخالف الموقف الامريكي وخاصة حول المفاوضات بين اطراف الصراع وحول الانسحاب من الاراضي المحتلة وحول وضع القدس .
حاولت فرنسا بالحفاظ على شكل موقف موحد للجماعة الاوروبية ولكنها فشلت في ذلك سواء خلال المحادثات الرباعية كما أنها لم تساهم في دفع مهمة يارنغ كما كان يأمل بيان آيار (مايو) 1971.
وكانت فرنسا تهدف من وراء ذلك تأكيد دورها في

تسوية مشكلة الشرق الاوسط وعندما فشلت في ذلك تخلت عن المبادرة الاوروبية تماما في شهر يناير 1973 .

وعندما تولى كيسنجر وزارة الخارجية الامريكية بدأ يخطط لانفراد الولايات المتحدة بعملية التسوية وبدأت مصر تتجه للحوار المباشر مع واشنطن كما اراد كيسنجر، كذلك توقفت المحادثات الثنائية بين القوتين الاعظم وكان اهتمام الاتحاد السوفياتي بهذه المحادثات قد انخفض ايضا مع تزايد اتجاه مصر للحوار المباشر مع الولايات المتحدة .

رابعا : منذ عام 1973 حتى 1982

اندلعت حرب اكتوبر عام 1973 واستخدم النفط كسلاح في الحرب وكان ردّ الفعل الاوروبي بسبب تعرض أمن أوروبا الاقتصادي للخطر المباشر قد اثار تواترات خطيرة على صعيد العلاقات الامريكية - الاوروبية من ناحية وعلى صعيد الجماعة الاوروبية من ناحية أخرى. ويتلخص محور التوتر في التعارض بين المصالح العالمية لامريكا وبين المصالح الاقليمية لاوروبا، والتي نبعث في جانب منها من الاختلاف في درجة الاعتماد على النفط العربي بين أوروبا وأمريكا ففي حين ركزت دول اوروبا - كل على حدة - على كيفية تأمين امداداتها النفطية وعلى اعادة الاستقرار في المنطقة العربية، كانت الولايات المتحدة تهتم أساسا بانعكاسات الازمة على العلاقات بين الشرق والغرب وبمحاولات السوفيات لاستغلال الموقف لتحقيق مكاسب فردية.

وكان موقف الجماعة الاوروبية واضحا حيث طالبت بريطانيا وفرنسا من باقي الجماعة اتخاذ

موقف حيادي وفصل سياسة اوروبا عن سياسة الولايات المتحدة وعن مساندة اسرائيل. ولهذا رفضت بريطانيا طلب كيسنجر بالدعوة في مجلس الامن الى وقف اطلاق النار لأن السادات كان يرفض هذا من بداية الحرب، كذلك استمرت فرنسا في بيع السلاح لليبيا والسعودية. ورفضت الجماعة الاوروبية استخدام الولايات المتحدة لقواعد حلف الاطلسي في عملية ارسال السلاح الى اسرائيل كما لم تساند بريطانيا وفرنسا الولايات المتحدة في رفضها لمبادرة السادات الداعية الى ارسال قوات سوفياتية امريكية للحفاظ على وقف اطلاق النار في سيناء .(26)

وتجدر الاشارة الى أنه منذ حرب اكتوبر عام 1973 بدأت الدول الاوروبية وخاصة الغربية تشعر بأن دورها ثانوي في أزمة الشرق الاوسط الى أن اعترفت فرنسا بحدود الدور الاوروبي في الازمة وقد وصل قول وزير الخارجية الفرنسي ميشيل جوبير أمام الجمعية الوطنية الفرنسية في /1973/11 12 "بأن أوروبا قد عوملت وكأن لا وجود لها، كما انها تعد لعبة أكثر من كونها اداة في علاقة الكبار". (27)

وكان لبيان بروكسل الذي صدر عن الجماعة الاوروبية في تشرين الثاني (اكتوبر) 1973، ز أول مساهمة أوروبية حقيقية حول قضية تمسّ أمن أوروبا بدرجة كبيرة ، كما كان بمثابة الميثاق

---

(26) المرجع السابق ، ص 87 .

(27) المرجع السابق ، ص 90 .

الاوروبي الذي تعمقت مبادئه بعد ذلك عن طريق المواقف الاوروبية المثالية . فقد نص البيان صراحة على المبادىء الاساسية للتسوية (عدم جواز الاستيلاء على الاراضي بالقوة ، ضرورة انسحاب اسرائيل من الاراضي المحتلة ، احترام سيادة واستقلال كل دول المنطقة وحقها في العيش بسلام داخل حدود آمنة ومعترف بها، الاعتراف بالحقوق المشروعة للفلسطينيين)، كما اعترف بأهمية الضمانات الدولية واقترح مناطق منزوعة السلاح، واعرب عن استعداد المجموعة الاوروبية للمشاركة في عملية السلام .

رحبت البلدان العربية ببيان بروكسل وذلك في قمة الجزائر 26-29 نوفمبر 1973 باعتباره التعبير الاول عن فهم افضل للقضية العربية ، وطالبت الجماعة الاوروبية بأن تعمل بكل وسائلها من أجل انسحاب اسرائيل من كل الاراضي المحتلة واعادة حقوق اشعب الفلسطيني .

وبعد ذلك عقد مؤتمر قمة كوبنهاجن في 14ديسمبر 1973 للجماعة الاوروبية الذي رغب في التخلص من الوصاية الامريكية ، واعلن عن بداية الحوار العربي – الاوروبي. ومع تطور الجهود الدبلوماسية التي سيطرت عليها دبلوماسية الخطوة خطوة الامريكية فلم يصدر عن الجماعة الاوروبية أي بادرة جديدة تحدد موقفها من المفاوضات الجارية وذلك بسبب المشاكل الداخلية في دول السوق الاوروبية ومشاكل العلاقات الاوروبية – الامريكية في ظل عواقب ازمة الطاقة .

وهكذا يمكن القول أن الاختلافات الاوروبية –

الامريكية كانت نوعا من توزيع الادوار حيث تقدم اوروبا على مواقف لا تستطيع الولايات المتحدة الاقدام عليها ، وظهر ذلك في مجال مبيعات السلاح الفرنسية والبريطانية لبعض الاقطار العربية وبخاصة مصر مما يساعد على احتواء النفوذ السوفياتي في المنطقة .

وفي مقابل جمود المبادرة الاوروبية في اطار التعاون السياسي تركز اهتمام الجماعة الاوروبية على تطوير علاقات اقتصادية قوية مع المنطقة العربية وذلك لدعم روابط علاقات الاعتماد المتبادل بين الاقليمين أي ان البعد الاقتصادي للحوار العربي الاوروبي يمثل الاولوية لدى اوروبا .

ورفضت الولايات المتحدة مبادرة اوروبا الحوار مع العرب. لذا لم يتقدم الموقف الاوروبي طوال اجتماعات اللجنة العامة للحوار في مايو 1976 في لوكسمبورغ، وفي تونس في فبراير 1977 خطوة أبعد من بيان نوفمبر 1973 في اطار التعاون السياسي، كما اتهم الجانب العربي الجماعة الاوروبية بأنها لا تتحرك للمساعدة في تنفيذ المباديء التي أعلنت التمسك بها كأساس للتسوية .

وفي حين لم يتحرك الموقف الجماعي الاوروبي من القضية الفلسطينية خطوة للامام من بيان نوفمبر 1973 حتى بيان قمة لندن في يونيو 1977، كانت المواقف الفرنسية تعد بالمقارنة بمواقف الدول الاوروبية الاخرى - مواقف رائدة في تأييدها للقضية الفلسطينية فقد أكدت فرنسا ان القضية الفلسطينية قضية شعب له الحق في وطن كما أن حلها ضرورة اساسية يجب أن يؤخذ في عملية

التسوية الشاملة الدائمة والعادلة، بذلك أكدت فرنسا على ضرورة اشتراك الفلسطينيين في مفاوضات التسوية. كذلك وافقت فرنسا على القرار الصادر من الجمعية العامة في 14 اكتوبر 1974 والخاص بدعوة منظمة التحرير الفلسطينية باعتبارها ممثل الشعب الفلسطيني الى الاشتراك في مناقشات الجمعية العامة حول فلسطين. والتقى وزير الخارجية الفرنسي مع ياسر عرفات في 18أكتوبر 1974 في بيروت مما اثار عاصفة في اسرائيل وصلت الى حدّ التفكير في الغاء زيارة وزير الخارجية الفرنسي لاسرائيل في نوفمبر 1974.

وفي الوقت الذي بدأ فيه الحوار العربي الاوروبي يتعثر تحت وطأة مبادرة السادات. كانت أوروبا ترقب مسار المفاوضات الجارية في كامب ديفيد بين كارتر والسادات وبيغن. وجاء ردّ المجموعة الاوروبية باصدار بيان بروكسل في التاسع عشر من شهر سبتمبر 1978 ذكرت فيه بموقفها الجماعي الداعي الى تسوية سلمية شاملة ودائمة تستند الى القرارين 242 و338، والذي اتضح في بيان جوان (يونيو) 1977، كما أعربت الدول التسع عن الامل في أن تكون نتائج قمة ديفيد خطوة حاكمة على طريق السلام العادل والدائم والشامل، وان تتمكن جميع الاطراف المعنية من المشاركة في تحقيق هذا الهدف.

ومع بروز مشكلة الحكم الذاتي للفلسطينيين، ومشكلة حق تقرير المصير لهم، والصفة التمثيلية لمنظمة التحرير الفلسطينية طالبت المجموعة الاوروبية في بيان البندقية في جوان (يونيو) 1980

بضرورة اشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في أي مفاوضات. والمعروف ان بيان البندقية والتطور الايجابي في المواقف الاوروبية تجاه القضية الفلسطينية جاء نتيجة عدة عوامل أهمها الثورة الايرانية والتدخل العسكري السوفياتي في افغانستان والذي ضاعف من حالة عدم الاستقرار في المنطقة، والزيادات المتتالية في أسعار النفط ومحاولة الدول الاوروبية لتحقيق استقرار هذه الاسعار، واعادة امتصاص وجذب أكبر قدر من العوائد النفطية. وتحرك بعض الدول الاوروبية وخاصة ألمانيا بهدف مساعدة او اكمال الدبلوماسية الامريكية .

اما الولايات المتحدة فقد اتهمت الدول الاوروبية باهمال التشاور معها حول مبادرة اوروبا الجديدة بشأن تعديل القرار 242 وكانت المبادرة موضع خلاف جديد في العلاقات الاوروبية والامريكية. ولهذا تحركت الولايات المتحدة لقطع الطريق امام الاعلان عن اتفاق اوروبي جديد فصرح كارتر بأن الولايات المتحدة لن تسمح بأي تحرك في الأمم المتحدة يمكن أن ينال من الشكل الحالي للقرار 242، وطالب حلفاءه الاوروبيين، بالا يتورطوا في التسوية السلمية في الوقت الحاضر وكما اوضحت الولايات المتحدة خلال الاتصالات بدول المجموعة انها لن تسمح بالمساس بعملية كامب ديفيد التي تعتبر محور سياستها في المنطقة والتي ازدادت أهميتها كركيزة اساسية في استراتيجية المواجهة مع الاتحاد السوفياتي .

خامسا : منذ عام 1982 حتى الآن

تميزت هذه الفترة في السياسات الدولية تجاه المنطقة العربية بعدة امور : تزايد التقارب بين المواقف الاوروبية والمواقف الامريكية بعد مجيء ادارة امريكية جديدة حيث فوز ريغن، اغتيال الرئيس السادات، والغزو الاسرائيلي للبنان، وتزايد حدة التوتر في الخليج العربي مع اندلاع الحرب العراقية - الايرانية تحول الاهتمام الامريكي بعيدا عن عملية تسوية الصراع العربي الاسرائيلي الى اعطاء الاولوية للعبة التوازن الاستراتيجي مع الاتحاد السوفياتي حول هذه المنطقة. التأرجح بين الموقف الامريكي الذي ركز على التهديد السوفياتي في المنطقة، وبين الاتجاه الاوروبي التقليدي الذي يربط بين ضرورة السعي الى تسوية الصراع العربي الاسرائيلي وبين تحقيق استقرار المنطقة ومن ثم حماية المصالح الاوروبية . (28)

وفي هذه الفترة تراجعت الدول الاوروبية عن دور مستقل في سبيل التنسيق مع الولايات المتحدة من أجل توزيع الادوار بينها وخاصة في ظل ظروف الحرب العراقية الايرانية والخليج في ظل الثورة الايرانية .

وفي تلك الفترة أيضا يتضح توزيع الادوار الاوروبية والامريكية تجاه المنطقة بشأن الخليج. فالولايات المتحدة لا تريد اغلاق الطرق أمام احتمال تحسن العلاقات مع ايران كما أنها راضية عن التقارب الفرنسي - العراقي حيث أن ذلك يعني

المرجع السابق ، ص 131 .

مزيدا من الوجود الغربي في تلك الدولة ذات العلاقة الوطيدة مع الاتحاد السوفياتي .
وقد بدأ التعاون الوطيد بين فرنسا والعراق منذ بداية السبعينات وذلك في المجالات العسكرية والاقتصادية، وأصبحت فرنسا رابع شريك تجاري للعراق عام 1978. وأضحت مصدرا اساسيا للسلاح للعراق ، كما لعبت دورا حاسما في بناء المفاعل النووي العراقي، (29) هذا فضلا عن التعاون الوطيد في مجال النفط. ومن ثم كانت المصالح السياسية فضلا عن الاقتصادية وراء المساندة الفرنسية للعراق في حربها مع ايران - ولا شك ان هذه المساندة كانت تحفظ صورة فرنسا لدى العرب من ناحية ، كما كانت تحقق لها مصالح اقتصادية من ناحية أخرى .
والمعروف أن الغزو الاسرائيلي للبنان عام 1982 فاجأ دولا كثيرة وخاصة أوروبا التي كانت غائبة عن الساحة تقريبا . وقد وجهت دول المجموعة بيانا في التاسع من شهر يونيه (حزيران) 1982 تضمن ادانة شديدة للغزو الاسرائيلي وتحذيره بأن الجماعة الاوروبية ستنظر في القيام بتحرك تجاهها اذا لم تسحب قواتها فوراً من لبنان . ومنذ الرابع والعشرين من شهر جوان (يونيو) حتى رحيل المقاومة الفلسطينية عن بيروت ، توالت المبادرات الفرنسية ابتداء من بيان الرئيس ميتران ثم مشروع القرار الفرنسي المقدم الى مجلس الامن ثم المشروع المصري الفرنسي المشترك كان لهما مغزاها بالنسبة لموقف فرنسا من عواقب الغزو الاسرائيلي

---

(29) المرجع السابق ص 146 .

على وضع المقاومة الفلسطينية في لبنان ومصير القضية الفلسطينية .

ولا يتسع المجال هنا لبحث الدور الفرنسي تجاه الغزو الاسرائيلي للبنان عام 1982 ولكن ما أردت التأكيد عليه أن فرنسا ربطت بين حل الازمة اللبنانية وبين حلّ المشكلة الفلسطينية واستمرت في التمسك بالمطالبة باشتراك منظمة التحرير الفلسطينية في مفاوضات التسوية .

وهنا يبرز السؤال التالي : هل تستطيع فرنسا أو الدول الاوروبية ان تقوم بجهود منفردة من أجل السلام ؟

المعروف ان الدول الاوروبية لا تستطيع أن تقوم بجهود منفردة من أجل السلام لأنها لا تملك سبل الضغط على اسرائيل ، ولذلك فان أية مبادرة أوروبية مستقلة عن الولايات المتحدة ستلقى الفشل. والواقع أن أي تحرك سياسي تجاه المنطقة العربية لم تقف معه الولايات المتحدة مصيره الفشل وعدم التنفيذ .

والمعروف ان دول اوروبا تسعى دائما الى غلبة وتفوق الابعاد والغايات الاقتصادية في لعبة التفاعلات الدولية . وتسعى دول اوروبا بعد شعورها بالضعف بجانب القوتين الاعظم ، للبحث عن استعادة دورها القيادي السابق لكن باساليب وادوات جديدة تتفق ومقتضيات العصر وتوازنات القوى القائمة .

ولهذا سعت الى اكتساب مجالات لانشطتها الانتاجية ومبادلاتها التجارية كسبيل دعم موقفها في عملية المنافسة الحادة مع القوى الاقتصادية

العالمية الاخرى .(30)
ويمكن القول ان اوروبا بعد أن غابت سياسيا عن المنطقة العربية ، وبعد تراجع نفوذها امام الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي ، حاولت احياء العلاقات الاقتصادية بينها وبين الاقطار العربية وخاصة في مجال التجارة الخارجية . وقد أصبح الوطن العربي الشريك التجاري الاول لدول اوروبا حوالي عام 1977 ، نجم هذا الوضع عن عامل مزدوج الابعاد : تبعية اوروبا للنفط العربي ، والتبعية التجارية للعرب .

والمعروف ان الدول الاجنبية قد استفادت من ارتفاع اسعار النفط حيث استفادت من ارتفاع الدخول في الاقطار النفطية التي ازداد طلبها على السلع والمنتجات الاجنبية وخاصة الاوروبية منها. ولقد كانت البلاد العربية النفطية مصبا لنسبة كبيرة من هذه الصادرات للمنطقة العربية حيث استوعبت الاقطار الخليجية اضافة الى ليبيا اكثر من 58 في المائة من هذه الصادرات عام 1979 في حين كان نصيبها منها لا يتجاوز 30 في المائة عام 1972 . (31)

وهكذا ومع الاهمية الاقتصادية و التجارية

---

(30) نازلي معوض ، السياسة المتوسطية للمجموعة الاقتصادية الاوروبية "
السياسة الدولية العدد 73 تموز (يوليه) 1983

(31) ناديا مصطفى ، مرجع سبق ذكره ، ص 201 .

للمنطقة العربية بدأت الدول الاوربية وخاصة دول المجموعة الاوروبية في رسم سياسة متوسطية شاملة تعني اساسا بضم الاتفاقات الثنائية القائمة او الجاري التفاوض عليها في نظام شامل جديد وابرمت عدة اتفاقيات بين بلدان المغرب العربي والمشرق العربي واسرائيل . فقد تم توقيع اتفاقية تونس ثم الجزائر ثم المغرب عام 1976، ومع مصر ولبنان والاردن عام 1972، سوريا عام 1974 ومع اسرائيل عام 1975 .

ويكفي ان نذكر ان الجماعة الاوروبية بموجب اتفاقيتها مع اسرائيل والقاضية بانشاء منطقة تجارة حرة بين السوق الاوروبية وبين اسرائيل قد فتحت ابواب الاقتصاد الاوروبي امام اسرائيل .

وخلاصة القول أنه في مقابل التزايد في اهمية المنطقة العربية. كسوق بالنسبة لدول المجموعة الاوروبية، ارتفعت اهمية شركاء اخرين مثل اليابان، ولكن ظلت السوق الاوروبية تحتل حتى نهاية السبعينات اكبر شريك تجاري للاقطار العربية. الا انه في الاعوام الاولى من الثمانينات ظلت المجموعة الاوروبية تمثل الشريك التجاري الاول للوطن العربي بينما تنافس اليابان مع الولايات المتحدة الامريكية حول المركز الثاني. ولكن سرعان ما تغير الوضع مع تطور العلاقات الاقتصادية العالمية حيث ازدادت أهمية المبادلات التجارية نظرا الى مدلولها بالنسبة لأنماط التنمية وخاصة مع دول العالم الثالث ، وبالنسبة لتأثير التغيرات الاقتصادية العالمية على اقتصاديات هذه الدول في ظل النظام الاقتصادي الراهن الذي يحقق

مصالح الدول المتقدمة . وكان للازمة الهيكلية للدول الصناعية والتطورات المتعلقة باسعار النفط اثرها على تركيب التجارة الخارجية العربية وتزايد اعتماد الوطن العربي على الخارج. وكان من جراء هذه التحولات والزيادة في الدخول النقدية ان ازداد اعتماد البلدان العربية على استيراد السلع الغذائية والسلع المصنعة التي وصلت نسبتها 81 في المائة الى اجمالي الواردات عام 1981 (32). وتحتل الواردات العربية من المجموعة الاوروبية والولايات المتحدة وكندا واليابان النسبة العظمى من اجمالي هذه الواردات . كما تميز الهيكل السلعي للصادرات العربية بتزايد اعتماد البلدان العربية على تصدير السلع الاولية وخاصة النفط الخام والخامات المعدنية وغير المعدنية . وازدادت اهمية هذه السلع في الصادرات العربية الاجمالية حتى وصلت نسبتها 98 في المائة عام 1982 (33)، بينما انخفض نصيب السلع الصناعية بما فيها الصناعات البتروكيميائية من 6ر2 في المائة عام 1978 الى اقل من 1بالمائة عام 1982.

هذا وتلعب التجارة الخارجية العربية دورا خطيرا نظرا لاعتماد التنمية الاقتصادية العربية على حصيلة الصادرات العربية ونظرا لاثارها على الهياكل الاقتصادية العربية، فان نسبة هذه الصادرات يصل الى 50 بالمائة من اجمالي الناتج المحلي العربي. وتواجه اسعار هذه الصادرات من

---

(32) ناديا مصطفى ، مرجع سابق ، ص 206 .
(33) المرجع السابق .

المواد الخام والسلع الاولية تقلبات شديدة في الاسواق الدولية نتيجة ظروف وأوضاع دولية لا يمكن للاقطار العربية ان تؤثر فيها بعمق. وتؤدي هذه التقلبات في عوائد صادرات الوطن العربي الى الدول الصناعية، الى اختلاط شروط التبادل التجاري لصالح الاخيرة، وخاصة مع ارتفاع نسبة الاستيراد العربي الى الناتج المحلي الاجمالي العربي والتي تصل الى اكثر من 33 بالمائة ، نظرا الى تزايد الاعتماد على الاستيراد لتلبية الحاجات الاساسية وهو الامر الذي يزيد من ترسيخ تبعية الوطن العربي اقتصاديا للدول الصناعية .

وتواجه الصادرات العربية من غير المواد الخام - صعوبات عديدة، ومن امثلة ذلك ما يحدث لمنتجات بلدان المغرب العربي التي تعتمد بشكل كبير على اسواق دول المجموعة الاوروبية، من اجراءات حمائية وتمييزية عديدة بعد انضمام اليونان واسبانيا والبرتغال الى السوق، ومن ناحية اخرى فشلت خطط التنمية . العربية حتى الان في احداث تغييرات جوهرية في نمط التجارة الخارجية العربية الذي استمر يعكس تركيز الصادرات العربية على المواد الخام بينما تركيز الواردات على السلع الصناعية والزراعية .

وكان تزامن استخدام سلاح النفط وحرب اكتوبر عام 1973 نقطة تحول هام في محتوى علاقات المنطقة العربية بالعالم الخارجي بصفة عامة. وكان النفط بمثابة الدافع المباشر والمحرك للدعوة الى الحوار العربي الاوروبي. ولقد عانت اوروبا من عواقب اقتصادية متنوعة لازمة النفط عام 1973.

فقد واجهت بريطانيا وفرنسا والمانيا الغربية ضغوطا سياسية واقتصادية داخلية وخارجية مختلفة اثرت على تشخيص كل منها وعلى رؤيتها لكيفية علاج عواقب الازمة .

وكان على الدول الاوروبية ان تختار بين ثلاثة بدائل للتعامل مع الازمة النفطية تتمثل في الاتي :

1 - إنتهاج خط جديد للعلاقات الجماعية مع الحكومات العربية .

او 2 - تبني سياسات قومية تقوم على الاتفاقات الثنائية مع الحكومات العربية النفطية .

او 3 - تبني الخط الامريكي الداعي الى تكوين تكتل للدول المستهلكة للنفط .

ولقد اخذت المجموعة الاوروبية بالبدائل الثلاثة معا .

اما الولايات المتحدة فقد ربطت بين العلاقات الاوروبية الامريكية وبين مشكلة الطاقة العالمية على نحو ابرز مدى رغبتها في استعادة زمام السيطرة على هذه المشكلة وفي الانفراد بقيادة التحالف الغربي والسيطرة على الوطن العربي .

ولا يتسع المجال هنا للخوض في تفاصيل البعد الاقتصادي للحوار العربي الاوروبي. الا انه لا بدّ من القول ان دول السوق الاوروبية ارادت ان تكون سياستها في المنطقة قناة بين طرفي صراع الشرق الاوسط (العرب واسرائيل) واستطاعت اسرائيل ان تستغل الحوار العربي الاوروبي عن طريق دفع بعض العناصر المساندة لاسرائيل في البرلمان الاوروبي لاثارة مسألة المقاطعة العربية للشركات التي تتعامل مع اسرائيل، الا أن هذا الموضوع لم يصل

الى الجلسات الرسمية للحوار. (34)

---

(34) المرجع السابق ، ص 247 .

الفصل الثاني

البعد الاقتصادي التاريخي لحرب الخليج

المنطقة العربية غنية بامكانياتها المادية وخاصة لوجود النفط اضافة الى اهميتها الاستراتيجية وموقعها المتوسط وسهولة الاتصال بينها وبين دول العالم الاخرى وهذا ما جعلها تأخذ مكانة هامة في العالم. لذا فان عين الدول الكبرى ترنو اليها باستمرار للسيطرة عليها حفاظا على مصالحها الخاصة ، وحرصها خاصة على حماية مصالحها الاقتصادية. لهذا كانت المنطقة العربية ولازالت موضوعا للتنافس العالمي بين القوى الكبرى. فتارة تسيطر على بعض دولها بريطانيا او فرنسا وتارة أخرى الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة أو هي تتبع في سياستها ما تراه تلك الدول .

وجاء انشاء الكيان الصهيوني في أرض فلسطين

عام 1948 ليشكل ضربة كبيرة للامة العربية حيث سلبت أرض فلسطين وطرد اهلها منها وساعدت الدول الاستعمارية على انشاء ذلك الكيان الذي لا يزال يهدد الامة العربية ويعيق تقدمها الاقتصادي والاجتماعي ويقف حائلا أمام تطورها وامكانية الاستفادة من خيراتها في بنائها وتطورها .

هذا وقد اتّسم العقدان الفاصلان بين نهاية الحرب العالمية الأولى وبداية الحرب العالمية الثانية (1918–1939) بعدد من التغيرات الهامة التي طرأت على الاقتصاد الاوروبي وعلى العلاقات الدولية بين القوى الكبرى، حددت أيضا التغيرات الاساسية التي لحقت بالتطور الاقتصادي والسياسي للبلاد العربية .

فمن ناحية اختفت الامبراطورية العثمانية وانكمشت في دولة صغيرة هي تركي، كما اختفت روسيا عن المسرح الدولي بعد ثورة اكتوبر (تشرين اول) 1917، كما اختفت المانيا كدولة عظمى بهزيمتها العسكرية ، وانطوت الولايات المتحدة على نفسها وانشغلت باستغلال مواردها الاقتصادية الهائلة وسوقها الواسعة. وانحصر التنافس الدولي على مناطق النفوذ بين بريطانيا وفرنسا، أما الاقطار العربية فقد تم توزيعها بين مناطق نفوذ بريطانية او فرنسية .

ومن ناحية أخرى شهدت تلك الفترة كساد عظيم في الاقتصاد الغربي حيث انشغلت اوروبا باعادة بناء ما دمرته الحرب. وزاد من حدة الكساد ما فرضته الدول المنتصرة على المانيا من أعباء تعويضات وانسحاب روسيا من التجارة الدولية

وقلة مساهمة الولايات المتحدة فيها، واتباع كل دولة سياسة "افقار الجار" بزيادة ارتفاع الحواجز الجمركية حماية لسوقها الوطنية . (1)

وأدى انكماش الانتاج والدخل في الدول الغربية الى التراخي في طلب هذه الدول على السلع الغذائية والمواد الاولية التي تنتجها المستعمرات ، وساعد على ذلك أيضا لجوء الدول الصناعية الى حماية انتاجها الزراعي وتخفيض وارداتها الزراعية لمواجهة الانخفاض في صادراتها ولحماية مزارعيها من انخفاض اسعار منتجاتهم ، كما ساعد عليه انخفاض معدل النمو في السكان انخفاضا كبيرا في أعقاب الحرب ، وأدى كل ذلك الى تراخي معدل نمو التجارة الدولية في المواد الغذائية .

وبانتهاء الحرب العالمية الثانية حلت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي باعتبارهما الدولتين العظميين الجديدتين، محل بريطانيا وفرنسا اللتين أدت الحرب الى اعتمادهما على المعونة الاقتصادية التي قدمتها لهما الولايات المتحدة اثناءها، وعلى استمرار هذه المعونة لاعادة بناء ما دمرته الحرب، بينما نجت الولايات المتحدة من دمار الحرب، واكتسب الاتحاد السوفياتي قوة سياسية واقتصادية جديدة باحتلاله لدول شرقي اوروبا ولما ظهر به كحامل رسالة جديدة للعالم بأسره، وما حظي به بسبب ذلك من تأييد الحركات الاشتراكية داخل العالم الثالث والعالم العربي نفسه .

هذا وأبرزت الحرب العالمية الثانية بدرجة أكبر

---

(1) جلال أحمد أمين ، مرجع سابق ، ص 36 .

بكثير من الحرب الأولى أهمية النفط في احراز النصر العسكري وفي النمو الاقتصادي على السواء كما اكتسب النفط أهمية جديدة بعد الحرب لشدة حاجة أوروبا اليه في اعادة التعمير، الأمر الذي علقت عليه الولايات المتحدة نفسها أهمية كبيرة لمنع انتشار النفوذ السوفياتي الى غرب أوروبا ، وهكذا تحددت مصالح الولايات المتحدة في المنطقة العربية بثلاثة مصالح رئيسية : تتمثل الأولى في احلال النفوذ الامريكي محل النفوذ البريطاني والفرنسي الآخذ في الزوال، والثانية منع الاتحاد السوفياتي من اكتساب موطىء قدم له في المنطقة، والثالثة ضمان تدفق النفط الى أوروبا الغربية مع اكتساب امتيازات جديدة لشركات النفط الامريكية على حساب المصالح النفطية في أوروبا أو بالتعاون معها . (1)

والمنطقة العربية تتأثر ولا شك بما يحدث من تطورات في الدول الكبرى التي سيطرت على مصير هذه المنطقة في فترات سابقة فما ان تحدث تطورات اقتصادية أو سياسية في هذه الدول الكبرى، يترتب عليها تغير في طبيعة المصالح التي ترمي هذه الدول الى تحقيقها في المنطقة العربية او في العلاقات بين هذه الدول نفسها، يؤدي بدوره الى تغير في درجة الضغوط الخارجية التي تخضع لها الدول العربية، الأمر الذي ينعكس في تطور النظام الاقتصادي للدول العربية، والعلاقات فيما بينها .

---

(1) جلال أحمد أمين ، مرجع سبق ذكره ، ص 42

ومنذ عام 1967 وحتى اليوم مرت المنطقة العربية . بأحداث كبيرة من هزيمة 1967 نفسها الى مضاعفة أسعار البترول، الى التحول الجذري في السياسة الاقتصادية العربية نحو مزيد من الانفتاح على الغرب ، الى تغير طبيعة العلاقات والسياسة بين الدول العربية ، الى نشوب الحرب الاهلية في لبنان، الى عقد معاهدة السلام بين مصر واسرائيل، الى الاحتلال الاسرائيلي لجنوب لبنان وطرد قيادة منظمة التحرير الفلسطينية في لبنان، الى الحرب العراقية الايرانية، الى حرب الخليج واحتلال الكويت ودخول القوات الاجنبية الى الارض العربية ومحاربة العراق بهدف اخراجها من الكويت وتدمير البنية الاقتصادية والعسكرية على ايدي قوات التحالف. كل ذلك له علاقة وثيقة بما طرأ على اقتصاديات الدول الكبرى وعلى الاقتصاد الاسرائيلي من تطورات وله علاقة أيضا بالاحداث التي طرأت على الدول الاشتراكية والتغير الحاصل في الاتحاد السوفياتي كما سنرى .

ليس هذا فقط وانما أيضا فان ما يحدث في المنطقة العربية من تطورات اقتصادية وسياسية ، منذ حكم محمد علي لمصر ومحاولته انشاء امبراطورية عربية او مملكة عربية تضم كل البلاد التي تتكلم العربية حتى اليوم، نجد ان الدول الكبرى تحاول خنق كل تطور اقتصادي او سياسي في المنطقة العربية لا يخدم مصالحها. فقد وقفت بريطانيا وفرنسا وهما العدوان اللدودان في ذلك الوقت ضد حملة ابراهيم باشا الى بلاد الشام وكان قد قارب الوصول الى القسطنطينة وهدد الباب

العالي وضربت المدافع البريطانية والنمساوية والعثمانية بيروت وعكا مجبرة ابراهيم باشا على الانسحاب، كما ارغمت بوارج أوروبا الحربية، الواقفة أماما ساحل الاسكندرية ، محمد علي على الاذعان لشروط المعاهدة التي ابرمت في لندن عام 1840 بين القوى الأوروبية فيما عدا فرنسا، والتي حددت حكم محمد علي بحدود مصر، وعلى تنفيذ المعاهدة التجارية بين بريطانيا والباب العالمي عام 1838، والتي رسمت اطار السياسة التجارية لكل البلاد الخاضعة للامبراطورية العثمانية حتى قيام الحرب العالمية الاولى (1). وتجدر الاشارة أيضا الى ان فرنسا وقعت في السنة نفسها (1838) اتفاقية تجارية مماثلة مع الباب العالي أصبح بموجبها من حق فرنسا "ان تشتري من أي كان في الامبراطورية العثمانية، كافة السلع بدون استثناء ... أما بغرض التجارة او الاستغلال" وتعهد الباب العالي بالغاء الاحتكار على المنتجات الزراعية أو أي منتجات اخرى داخل اراضيه .(2)

وقد أدى تطبيق اتفاقية 1838 الى تدفق البضائع الأوروبية على البلاد العربية، والى خروج المواد الاولية لتغذية مصانع أوروبا، وحرمت الصناعات المحلية الاولية من الحماية الجمركية في نفس الوقت.

والمعروف أن دول الخليج العربي المنتجة للنفط تعتمد اعتمادا شبه كامل على ما تحصل عليه من دخل من شركات النفط. لذا فهي تعتمد على الدعم

---

(1) المرجع السابق ، ص 26-27.

(2) المرجع السابق، ص 27.

العسكري والسياسي الذي تقدمه بريطانيا ثم الولايات المتحدة الامريكية، وهذا ما يضمن سياسة الانفتاح الاقتصادي على الغرب واستمرارها. وقد استفادت الولايات المتحدة الامريكية منذ أوائل السبعينات من ذلك حيث استغلت نفوذها السياسي والقوة الاقتصادية لشركات النفط الامريكية الى حل مشكلة ميزان المدفوعات الامريكي، وفي نفس الوقت توجيه ضربة عنيفة للانتقادات المنافسة في أوروبا واليابان .

ويكفي ان نذكر ان دول النفط عندما ضاعفت اسعاره اربع مرات خلال فترة لا تزيد على أربعة شهور ما بين أكتوبر 1973 وجانفي 1974، ضاعف ذلك نفقات استيراده، والذي تعتمد عليه أوروبا الغربية واليابان مما أفاد الولايات المتحدة الامريكية ، التي تحددت مصالحها في المنطقة العربية باحلال نفوذها محل النفوذ البريطاني والفرنسي ومنع الاتحاد السوفياتي من اكتساب موطىء قدم له في المنطقة، وضمان تدفق النفط الى أوروبا الغربية مع اكتساب امتيازات جديدة لشركات النفط الامريكية على حساب المصالح النفطية في أوروبا او بالتعاون معها .

تلك هي اشارة الى أهمية دول المشرق العربي وخاصة الدول النفطية منها. لذا فإن ازمة الخليج والتي بدأت باحتلال العراق للكويت ثم التدخل الخارجي لاخراج العراق منها اضافة الى ما اصاب العراق والكويت من تدمير واضرار ورد الفعل العربي والاجنبي عليها هو ما سنعالجه في الصفحات التالية من الناحية الاقتصادية .

وتجدر الاشارة الى اعطاء معلومات حول الكويت والعراق .

الكويت :

تقع دولة الكويت في اقصى الشمال الشرقي من الخليج شمالي الاحساء من المملكة العربية السعودية، وجنوبي الجمهورية العراقية بين خطي عرض 28 و30 شمالا، وخطي طول 46 و48 شرقا . ويحدها من الجنوب والغرب المملكة العربية السعودية بحدود طولها 255 كيلومترا، ويحدها من الشرق الخليج العربي بساحل طوله 290 كيلومترا، وفي الشمال والغرب الجمهورية العراقية بحدود طولها 240 كيلومترا.

وتشغل الكويت رقعة من السهول الرملية المنبسطة. وتبلغ مساحتها الكلية 18 الف كيلومتر مربع بما فيها النصف الشمالي من المنطقة المحايدة ومساحته 2300 كيلومتر مربع. عاصمتها مدينة الكويت وتقع على الضفة الجنوبية في جوفها الصغير. بلغ عدد سكان الكويت حوالي 7ر1 مليون نسمة حسب احصاء 1986، واكثر سكانها اصلا من ابناء الجزيرة العربية والبلدان العربية المجاورة. وعدد سكان مدينة الكويت العاصمة 630 الف نسمة، وامراؤها آل الصباح من فروع قبيلة عنزة وهي القبيلة التي تنتمي اليها الاسرتان الحاكمتان في المملكة العربية السعودية والبحرين من آل سعود وآل خليفة، والاسلام هو الدين الرسمي للدولة .

العراق :

يقع العراق شمال الخليج العربي وتبلغ مساحته 438317 كيلومترا مربعا بها منطقة محايدة من

حدوده الجنوبية الغربية مع السعودية والكويت بينما بقيت حدوده مع ايران غير مسطرة نهائيا، وكذلك الشأن في خصوص النزاع مع ايران على مياه شط العرب مما سبب اشتعال الحرب معها مدة ثماني سنوات .

بلغ عدد سكان العراق 16 مليون نسمة عام 1988 والعاصمة بغداد وعدد سكانها إكثر من أربعة ملايين نسمة، والاسلام هو الدين الرسمي للدولة .

ويعد النفط هو المورد الاساسي للعراق تبلغ حصته 783ر2 مليون برميل في اليوم بالنسبة للسداسية الثانية من عام 1989، أما الان فتبلغ حصته 14ر3 مليون برميل في اليوم .

وتقع العراق في موقع متوسط بين الشرقين الادنى والاوسط وتحدها تركيا من الشمال وايران من الشرق والكويت والخليج من الجنوب، والسعودية والاردن من الجنوب الغربي وسوريا من الشمال الغربي .

وتبلغ احتياطات العراق من النفط 112 بليون برميل وتأتي في المرتبة الثانية بعد السعودية. ويعتمد العراق على صادراته النفطية في الحصول على كل حاجاته تقريبا من العملات الاجنبية. وصناعاته الاساسية هي التعدين والنفط والغاز والتشييد وصيد الاسماك والغابات والزراعة .

وتقدر ديون العراق الخارجية بحوالي 70 مليار دولار جاء معظمها بسبب حربه مع ايران التي استمرت ثماني سنوات .

جدول : السكان والمساحة والناتج المحلي الاجمالي لدول الخليج

الدولة	المساحة كلم2	السكان	الناتج المحلي الاجمالي مليار دولار
البحرين	676	430000	5
الكويت	24280	1870000	17
عمان	212200	1330000	10
قطر	10360	330000	7
السعودية	2331000	8500000	71
الامارات	82900	1450000	23
العراق	438446	17050000	31

العراق اكبر دولة مدينة في منطقة الشرق الاوسط اذ تبلغ ديونه 70 بليون دولار انفق معظمها في حربه ضد ايران التي دامت ثمانية اعوام. وقدرت مبيعات الاسلحة السوفياتية وحدها للعراق خلال الفترة بين عامي 1980 و1987 بحوالي 3ر20 بليون دولار في حين بلغت الديون الغربية على العراق 6ر13 بليون دولار.

وتتمثل القروض التي قدمتها السعودية والكويت ودولة الامارات للعراق اكثر من نصف بقية الديون العراقية ولا يحتمل ان يتم سداد كل الديون على الاطلاق .

ويبدو جاليا "ان دخل العراق من صادراته النفطية ليس كافيا لسداد تلك الديون على رغم ان احصاءات رسمية توضح أن الوضع الاقتصادي في العراق شهد تقلبات في الفترة من عام 1983 الى عام 1988، اذ تحول العجز التجاري الذي بلغ 7ر2 بليون دولار عام 1986 الى فائض تجاري بلغ 1ر2 بليون دولار عام 1988 .(1).

وبلغ انتاج النفط العراقي 3ر3 مليون برميل يوميا في عام 1979 وبلغت عائدات تصديره 4ر21 بليون دولار، وبعد فترة تراجع انتعشت معدلات الانتاج بحلول عام 1989 لتصل الى 8ر2 مليون برميل يوميا بلغت عائداتها 14 بليون دولار. وقد كانت الجماعة الاوروبية اكبر مستورد للنفط العراقي في تموز (يوليو) 1990 اذ بلغت وارداتها منه 920 الف برميل يوميا تليها الولايات المتحدة التي استوردت 850 الف برميل يوميا (في اليابان 250 الف برميل يوميا) وتأتي بعد ذلك البرازيل التي استوردت 160 الف برميل يوميا من النفط العراقي .

وتعد فرنسا التي تربطها بالعراق علاقات وثيقة منذ فترة طويلة، واسبانيا اكبر عملاء النفط العراقي من بلدان المجموعة الاوروبية .

---

(1) جريدة الحياة اللبنانية ، 90/8/8.

ومن بين الشركاء التجاريين الذين يقيمون علاقات تبادل تجاري منتظم مع العراق كل من البرازيل وتركيا ويوغسلافيا والهند. وتعد بريطانيا من المصدرين المهمين. اما الدول التي تستورد من العراق وتصدر اليه منتوجاتها فهي الولايات المتحدة الامريكية وفرنسا والمانيا وايطاليا .

وتعد البرازيل وتركيا اهم الدول التي يستورد منها العراق معظم حاجته من اللحوم وكذلك الحديد والفولاذ .

وتقدر الديون المدنية والعسكرية المترتبة لفرنسا على العراق بنحو 25 مليار فرنك فرنسي (اكثر من 4 مليار دولار) .

اما الودائع المصرفية الكويتية في فرنسا فتبلغ 5ر7 مليار فرنك فرنسي وودائع العراق 5ر1 مليار فرنك فرنسي، بينما الاستثمارات العراقية في هذا البلد (فرنسا) فهي قليلة الاهمية، بينما الاستثمارات الكويتية كبيرة خاصة الاسهم التي تعود الى كويتيين في مصرف باريبا 3 في المائة اي 5ر1 مليار فرنك فرنسي ومصرف سويز 5ر0 في المائة اي 300 مليون فرنك فرنسي اضافة الى ممتلكات عقارية ضخمة مثل مركز الشانزيليزيه التجاري وبرج منهاتن في منطقة الديفانس بباريس (1).

تحتل الازمة الكويتية - العراقية مركز الصدارة في الاهتمامات الدولية بسبب وجود أكبر مخزون للنفط في العالم في رقعة صغيرة من الارض. وهذه

---

(1) جريدة الصحافة التونسية، 7 / 8 / 1990.

المنطقة هي منطقة صراع بين الشرق والغرب منذ نهاية الحرب العالمية الثانية مما جعلها من اكثر المناطق حساسية للتصورات الدولية في العالم. وقد بنت الولايات المتحدة الامريكية استراتيجيتها السياسية والعسكرية في الشرق الاوسط استنادا الى مبدأ حماية منابع النفط وضمان استمرار تدفقه الى الاسواق الخارجية الامريكية والاوروبية بشكل خاص. ويمكن ايجاد صلة بين القلاقل والاضطرابات التي عرفها الشرق الاوسط في نصف قرن حتى الآن وبين النفط .

لهذا وما ان بدأ الاجتياح العراقي للكويت في الثاني من شهر اوت (اغسطس) 1990 حتى تحرك العرب والعالم لايجاد حل لهذا النزاع .

وفي الرابع من شهر اوت (اغسطس) 1990 بعد يومين من الاجتياح العراقي للكويت اصدر وزيرا خارجية الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي بيانا مشتركا دعا العراق الى الانسحاب الفوري من الكويت وفيما يلي نصه : (1)

"يؤكد الاتحاد السوفياتي والولايات المتحدة بوصفهما عضوين في مجلس الامن على أهمية قيام المجلس بالتنديد الفوري والحازم بالغزو الذي تعرضت له الكويت من قبل القوات المسلحة العراقية. وتعتقد الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي انه من المهم مبدئيا الآن تنفيذ قرار مجلس الامن متكاملا وفورا".

"ان عمل العراق يتناقض مع المباديء الاساسية

---

(1) جريدة الحياة اللبنانية ، 1990/8/5.

لميثاق الامم المتحدة والقانون الدولي. وردا على هذا الخرق السافر للقواعد الاساسية للسلوك المتحضر اتخذت الولايات المتحدة والاتحاد السوفياتي كل بمفرده عددا من الاجراءات وبالتحديد اوقف الاتحاد السوفياتي صادرات الاسلحة للعراق وجمدت الولايات المتحدة الودائع المصرفية العراقية".

"ويؤكد الجانبان نداءهما الى العراق لسحب القوات من الكويت دون شروط ويشددان على استعادة وحماية الاستقلال الوطني لدولة الكويت وسلطتها الشرعية ووحدة اراضيها".

ومع استمرار العقوبات الاقتصادية على العراق، اصابت الازمة اقتصادات العالم بجروح بالغة وارتفعت اسعار النفط بمعدل زاد على اربعة دولارات للبرميل وانعكست ارتفاعا في كثير من الاسعار الاستهلاكية في عديد من بلدان العالم.

فالبرازيل مثلا اعلنت وقف المبادلات التجارية مع العراق تطبيقا لقرار مجلس الامن الدولي. والبرازيل من الشركاء الرئيسيين للعراق اذ تستورد 7ر3 في المائة من اجمالي الصادرات العراقية البالغ قيمتها 08ر12 بليون دولار وتصدر اليه 7ر12 في المائة من اجمالي وارداته البالغ قيمته29 ر10 بليون دولار.

ومع حظر استيراد النفط العراقي والكويتي اصبح ضخ هذا النفط عبر انبوبين احدهما يمر بالاراضي السعودية عبر الكويت ويصب في المعجز على البحر الاحمر والثاني يمر في الاراضي التركية ويصب على البحر المتوسط بلا جدوى.

لذا فإن الولايات المتحدة الامريكية وبريطانيا وغيرها من الدول الغربية تراهن على مساهمة بعض دول الاوبك تعويض النقص الحاصل وخصوصا تلك الموجودة في الخليج والقادرة على ضخ كميات اكبر .

وتوضح احصاءات وتقديرات اعدتها وكالة الطاقة الدولية ان متوسط المخزون في دول منظمة التنمية والتعاون الاقتصادي التي تضم 24 دولة رئيسية قدر في بداية شهر تموز (يوليو) 1990 بنحو 4ر468 مليون طن متري تغطي مدة استهلاك تصل الى 97 يوما وتشير تلك الاحصاءات الى انه كان لدى الدول الاوروبية (بما فيها تركيا) في بداية ذلك الشهر 1ر158 مليون طن تكفي الاستهلاك لمدة 97 يوما الا ان الامدادات في اليابان واستراليا ونيوزيلنده تكفي مدة طول تصل 119 يوما .

والمعروف ان العراق يصدر ما بين 900 الف ومليون برميل يوميا عبر خط انابيب النفط المنتهي في مدينة ينبع بالسعودية على البحر الاحمر بينما يصدر معظم الكمية الباقية من انتاجه المقدر بنحو 1ر3 مليون برميل يوميا عبر الخليج بناقلات تحمل القسم الاكبر من ذلك النفط الى الولايات المتحدة .

اما انتاج الكويت فقدر 8ر1 مليون برميل يوميا . بينما تنتج المنطقة المحايدة بين الكويت والسعودية 400 الف برميل يوميا مقاسمة بين الدولتين الا انه من المعروف ان نحو 300 الف برميل من نفط تلك المنطقة يصدر لحساب العراق ويتحول الى ديون على الحكومة العراقية .

ولا بدّ ان الاسواق اخذت بعين الاعتبار تأثر نحو 3ر5 مليون برميل باي مضاعفات يمكن ان تنجم عن احتلال الكويت وهو سبب يعتبره المحللون مسوغا للارتفاع الكبير الذي طرأ على اسعار النفط ونقله بالنسبة لخام مهم فقد ارتفع السعر من 5ر19 دولار للبرميل الى حوالي 24 دولار للبرميل .

والمعلوم أن العالم يستطيع الى اجل مسمى تحمل تراجع في الامدادات بحدود 2 مليون برميل يوميا اذا عهدت الدول المنتجة خارج اوبك الى رفع انتاجها الى الحد الاقصى مع ما يرافق ذلك من ارتفاع الاسعار، الا انه لا يستطيع تحمل خسارة تصل الى خمسة ملايين برميل في اليوم (انتاج العراق والكويت) .

والمعروف انه خيم على العالم شبح ازمة نفطية ثالثة عشية اعلان دول السوق الاوروبية المشتركة فرض حظر على استيراد النفط من العراق والكويت اثر خطوة مماثلة اتخذتها الولايات المتحدة مما يترك اليابان في وضع شائك يرجح ان تخرج منه بقرار مر يوقف شحنات النفط من كلا القطرين .

وفيما استعدت الدول الغربية لامتصاص الازمة البترولية التي يمكن ان تنجم عن منع نحو خمسة ملايين برميل من النفط يوميا انتاج الكويت والعراق من الوصول الى الاسواق قد يشير الى ازمة اقتصادية .

والمعروف ان دول السوق الاوروبية وعددها 12 قررت فرض حظر شامل على الواردات النفطية من العراق والكويت ضمن مجموعة من العقوبات الاقتصادية الاضافية منها توسيع نطاق تجميد

الارصدة والموجودات العراقية والكويتية او التشديد عليها ووقف شحن الاسلحة الى العراق وشل التعاون معه في المجالات الفنية والعلمية الى جانب حجب الميزات التفضيلية التي كانت دول السوق تمنحها لصادرات البتروكيماويات . كما ان المجموعة اوضحت في بيان وافقت عليه الدول الاعضاء كلها انها على استعداد للمضي في مقاطعتها الى ابعد من ذلك وتطبيق اي اجراءات تقرها الامم المتحدة بما في ذلك تعزيز وجودها العسكري في الخليج .

والمعروف ان الصادرات العراقية والكويتية النفطية الى الولايات المتحدة نحو 6ر4 في المائة من جملة الاستهلاك هناك مما يعني ان خسائر العراق من المقاطعة الامريكية وحدها يمكن ان تصل اربعة بلايين دولار سنويا .الا أن ما تستورده واشنطن ضئيل مقارنة بما تتسلمه أوروبا من نفط العراق والكويت الذي مثّل في العام الماضي نحو 9ر10 في المائة من اجمالي الواردات مما يجعل مقاطعة بترول الدولتين امرا مضنيا خصوصا بالنسبة الى دولة مثل الدانمرك تستورد منها اكثر من 54 في المائة من الاستهلاك (1) .

اما طاقة الانبوب العراقي عبر اراضي تركيا فتبلغ 6ر1 مليون برميل يوميا واذا ما اوقفت ضخ النفط العراقي عبر هذا الانبوب فان تركيا تخسر دخل سنوي يبلغ 300 مليون دولار اضافة الى وقف تسديد الديون المستحقة لتركيا على العراق .

وبسبب الحظر الاقتصادي الذي فرضه العالم على

---

(1) جريدة الحياة اللبنانية ، 1990/8/5.

العراق ومنع تصدير النفط العراقي واستجابة لقرار مجلس الامن اتخذت عدة دول اوروبية اجراءات لتنفيذ هذا القرار بهدف ارغام العراق على الانسحاب من الكويت والاستجابة لقرارات مجلس الامن الصادرة بهذا الشأن .

ايطاليا :

تبنى مجلس الوزراء الايطالي الاجراءات العملية للعقوبات التي قررتها المجموعة الاقتصادية الاوروبية ضد العراق وذلك بمناسبة الاجتماع الطارىء الذي عقده في روما المديرون السياسيون لوزراء خارجية الدول الاثنى عشرة .

وجدير بالذكر ان تطبيق روما لمقررات اللجنة الاوروبية التي طالبتها بمقاطعة واردات النفط يعني انقطاع حوالي عشر الواردات الايطالية .

هذا وان المقاطعة التامة التي تفرض على العراق من شأنها ان تؤدي الى تفاقم في هبوط حجم التبادل التجاري الذي سجل تدهوراً متواصلا على مدى السنوات الخمس المنصرمة .

ففي عام 1985 وصلت قيمة التبادل التجاري بين ايطاليا والعراق الى نحو 2900 مليون دولار بلغ الميزان الايطالي السالب فيها حوالي 74 مليونا وفي عام 1986 هبط حجم التبادل التجاري الى 1600 مليون دولار والى 1520 مليون دولار عام 1987 والى 1280 مليون دولار في عامي 1988 و1989 .(1)

---

(1) جريدة الشرق الاوسط ، 5 / 8 / 1990

فرنسا :

منعت فرنسا عمليات تجهيز السفن القادمةالمتوجهة بشكل مباشر او غير مباشر الى العراق او الاراضي الواقعة حاليا تحت السيطرة العراقية مثل الكويت .

واتخذ هذا الاجراء على اساس الاحكام التنظيمية يلي قرار منع استيراد النفط والمنتجات النفطية القادمة من الاراضي نفسها .

سويسرا :

اعلنت الحكومة السويسرية فرض حظر تجاري وتوقف تحويل المدفوعات وتجميد الارصدة والممتلكات الكويتية والعراقية لديها احتجاجا على التدخل العراقي في الكويت منظمة الى قرار مجلس الامن الدولي .

وهذه اول مرة في التاريخ الحديث تلجأ فيها سويسرا الى الضغط الاقتصادي لدعم سياستها الخارجية .

المانيا :

اعلنت الحكومة الاتحادية في بون تشديد مراقبة اي صادرات المانية الى كل من العراق والكويت واتخذت بون اجراءات الى جانب المقاطعة الاقتصادية والمبادلات التجارية التي اعلنتها دول المجموعة الاوروبية وقف تقديم اي نوع من انواع الضمانات المالية لتمويل التجارة مع العراق .

وقدر حجم التعامل الاقتصادي مع العراق بقيمة تتراوح ما بين 5 و10 مليار مارك بالاضافة الى مبلغ 2 مليار مارك كضمانة خطر للشركات المصدرة الى العراق. كذلك تقدمت بون باقتراح الى الجماعة

الاوروبية بوقف الافضليات التجارية والجمركية الممنوحة لمنتجات العراق والكويت عند دخولها اسواق الدول الاثنى عشرة حيث تشير الارقام الى ان العراق يعتمد بصورة رئيسية على صادراته من النفط الى اوروبا الغربية علما بأن النفط يشكل 96٪ من صادراته الى المجموعة الاوروبية .

كذلك تشير الاحصائيات الالمانية الى ان قيمة الصادرات الاوروبية الى العراق قد بلغت خلال عام 1986 حوالي 2ر6 مليار فرنك ثلثها من الصادرات الالمانية تتركز بشكل رئيسي على الالات ووسائل النقل المختلفة .

والواقع ان اعتماد دول المجموعة الاوروبية على صادرات العراق والكويت من النفط محدودة والدولة الاوروبية الوحيدة التي تعتمد على هذا النفط هي الدانمارك حيث تستورد ما يزيد على نصف احتياجها من النفط من الكويت (7ر2 مليون طن عام 1989) ويعود السبب في ذلك الى ان الكويت يمتلك مصفاتي نفط في الدانمارك بينما تعتمد الدول الاوروبية الاخرى على نفط بحر الشمال من النرويج وبريطانيا والاتحاد السوفياتي ونيجيريا وليبيا .

اليابان :

تأثرت اليابان كثيرا بفرض العقوبات على العراق والكويت خصوصا وانها تستورد 99 في المائة من نفطها في الخارج و12 في المائة منه من البلدين العربيين. وقد أدى ذلك الى انهيار اسعار الاسهم وتراجع سعر الين .

اما الديون العراقية لليابان فتبلغ 700 بليون ين

(7ر4 بليون دولار) معظمها عائد للشركات الخاصة. وكانت اليابان تأمل ان يسدد العراق هذه الديون بالنفط ، الا ان الاحتمال لم يعد واردا الآن .
اما حجم التبادل التجاري بين العراق واليابان فبلغ عام 1990 ما قيمته 7ر1 بليون دولار وحجم التبادل التجاري مع الكويت بلغ للفترة نفسها 3 بلايين دولار. ويتردد ان الحكومة اليابانية تدرس تقديم قروض لبعض الشركات الصغرى في اليابان لمساعدتها على تسوية اوضاعها في غياب السوقين الكويتي والعراقي .
وانضمت اليابان الى الدول التي فرضت عقوبات اقتصادية على العراق من بينها حظر استيراد نفطه وذلك احتجاجا علي اجتياح الكويت. وتنصالعقوبات اليابانية ايضا على فرض قيود مالية على الاستثمارات في العراق، وعلى منحه القروض وكذلك تجميد التعاون الاقتصادي مع بغداد.
من ناحية أخرى بدأ المحللون الاوروبيون يتساءلون عن مدى قدرة الدول الصناعية على تحمل العقوبات الاقتصادية التي اقرتها دولهم في حق العراق. وتشير ارقام مبدئية حصلت عليها "الحياة" من احد بيوت الدراسة ان الاقتصاد الامريكي اثر مقاطعة النفطين العراقي والكويتي، سجل تراجعا في نسبة نمو ناتجه ما بين 9ر1 و2ر1 في المائة ابتداء من النصف الثاني من عام 1991 مقابل 1 الى 5ر1 في المائة في نسبة النمو اليابانية 6ر0 و1 في المائة في نسبة النمو في المجموعة الاوروبية .(1)

---

(1) جريدة الحياة اللبنانية ، 1990/8/8.

وترتكز الدراسة الى توقعات سابقة كانت نشرتها اومنظمة التعاون والتنمية الاقتصادية التي تضم الدول الصناعية بين اعضائها الـ 24 تشير الى ان الطلب الداخلي الامريكي من شأنه تسجيل تراجع بنسبة 3ر0 في المائة لكل ارتفاع قدره 3 دولارات في سعر النفط العالمي في مقابل 5ر0 في المائة للطلب الداخلي الياباني و7ر0 في المائة للطلب الداخلي الاوروبي للارتفاع نفسه .

انتهت حرب الخليج تاركة وراءها عدة تحديات اقتصادية بالنسبة لتونس واتحاد المغرب العربي .

وقد اقر مجلس الوزراء التونسي في احدى اجتماعاته مشروع قانون مالية اضافي يهدف الى توفير موارد مالية جديدة واعادة توزيع الاموال التي رصدت لبعض الابواب خلال مناقشة ميزانية 1991 .

في هذا الاطار ايضا يأتي التحرك التونسي المغاربي لتجسيد شعار "الاعتماد على النفس" عبر السعي لتطوير التعاون الفلاحي. هذا التعاون نصت عليه الاتفاقيات التي صادقت عليها قمة الجزائر المغاربية يوم 23 جويلية 1990 .

ويمكن القول ان النية تتجه مغاربيا الى توظيف التقارب السياسي الذي ابرزته حرب الخليج لتطوير العلاقات الاقتصادية سيما من خلال تشجيع تنقل المواد الفلاحية بين الاقطار الخمسة .

الاضرار التي لحقت بابار النفط الكويتية

- أشارت بعض الصحف ان الاضرار التي لحقت

بآبار النفط الكويتية في حرب الخليج كبيرة جدا. وقد لا يمكن اعادة رؤوس الابار المحطمة والمحترقة الى طاقتها الانتاجية كاملة الا بعد فترة طويلة قد تستغرق خمس سنوات .(1)

وتجدر الاشارة الى ان الكويت قبل الاحتلال العراقي في الثاني من اوت (اغسطس)1990 تصدر مليون ونصف مليون برميل نفط في اليوم. ولن يكون في وسعها تصدير اي كمية منه لمدة عام على الأقل وربما احتاجت الى اتخاذ اجراءات خاصة لئلا تصبح دولة تستورد النفط .

ومن المعلوم ان حوالي 800 بئر نفطية من اصل ابار الضغط العالي في الكويت والبالغ عددها 1080 بئرا قد تعطلت تعطيلا كاملا بما في ذلك 535 بئرا كسرت واشعلت فيها النار باستخدام صاعق تفجير . ويقدر احمد مراد (2) ان ما يقارب 6 ملايين برميل من النفط تحترق يوميا . وهذا يعني تبدد مبالغ تصل الى 120 مليون دولار مع الدخان يوميا على اساس ان برميل النفط يباع بعشرين دولارا.

واشار بعض الخبراء الى ان الكويت تخسر ما بين 10 و19 في المائة من احتياط نفطها المخزون والمقدر بحوالي 92 مليار برميل بسبب الحرائق، ومن المعلوم أنه يمكن اطفاء بعض الحرائق في غضون ايام

---

(1) جريدة الصباح التونسية ، جريدة يومية 10 مارس 1991، تونس ص 8 عن صحيفة الحياة التي تصدر بلندن ، 1991/3/5.

(2) احد الخبراء الكويتيين الذين يقيمون مدى الاضرار التي لحقت بآبار النفط الكويتية .

من وصول رجال الاطفاء المتخصصين ومعداتهم، الا ان البعض الاخر قد يستغرق اطفائها مدة خمس سنين وبتكلفة قد تصل الى ثلاثة ملايين لاطفاء الحريق في بئر واحدة .

وقد شرع ممثلون عن كبرى الشركات الامريكية المتخصصة في اخماد حرائق ابار النفط في اجراء تقييم للاضرار، وافادوا ان الامر قد يستغرق أكثر من شهر لاحضار المعدات اللازمة لاخماد الحرائق. واعلن مسؤول في الجيش الامريكي ان المساعي على هذا الصعيد ستبدأ في الابار الاقرب الى التجمعات السكنية للتقليل من أثار التلوث الجوي .

ويمكن القول ان الاضرار التي لحقت بآبار النفط الكويتية اضافة الى تخريب رؤوس الانتاج في ابار النفط تتمثل فيما يلي : (1)

1 - تدمير حوالي نصف عدد مراكز تجميع البترول البالغ عددها 26 مركزا والتي تفصل بين النفط والغاز والماء اثناء ضخها في احواضها تحت الارض. ويقدر الخبراء الكويتيون نفقات اصلاح او تبديل تلك المراكز والتي يعالج بعضها منتجات ما بين 30 الى 40 بئرا بحوالي 150 مليون دولار .

2 - تخريب محطات تقوية الضخ على طول خطوط الانابيب الكويتية وتدمير منشآت تخزين النفط الكويتية جميعا والتي تبلغ طاقتها 13 مليون برميل.

3 - عطب او تدمير قطع غيار لتجهيزات انتاج

---

(1) نفس المرجع السابق .

النفط والمعدات المساندة ومراكز الادارة بما في ذلك المقر العام لشركة نفط الكويت في الاحمدي وتقدر قيمتها 80 مليون دولار .
4 - تخريب مصافي النفط الكويتية

دول الخليج مهددة بالتداين لمدة عشرية كاملة (1)

اكد محافظ البنك المركزي للامارات العربية المتحدة ان دول الخليج البترولية التي تعد من اغنى الدول في العالم مهددة بأن تصبح في المستقبل دولا مثقلة بالديون بسبب المجهودات التي تكفلت بها لتمويل حرب الخليج والتي اجبرتها على التداين من الخارج. وان الدول التي لا ترغب في سحب اموال من مدخراتها المالية ستجبر على الاقتراض في الاسواق العالمية، و"ان المملكة العربية السعودية قد قامت بمساعي في هذا الاتجاه".

وأوضح المسؤول البنكي ان عمليات الاقتراض ستكون ضرورية ولازمة بسبب مصاريف الحرب ضد العراق وبسبب الانخفاض المتوقع لاسعار النفط في غضون السنة الحالية (1991) .

واكد "ان بعض البلدان التابعة لمجلس التعاون الخليجي (السعودية والامارات والكويت وعمان وقطر والبحرين) التي كانت في السابق تعتبر بلدانا مصدرة لرؤوس الاموال ستتحول الى بلدان موردة لرؤوس الاموال اي الى بلدان مكبلة بالديون.

---

(1) جريدة الصباح التونسية ، 1991/2/26، ص 1.

وعلاوة على تمويل حرب الخليج فإن البلدان الخليجية مجبرة على جبر الضرر لبعض البلدان المتضررة في ازمة الخليج كما انها ستجبر على تمويل الاتفاقات الامنية التي من المتوقع ان ترى النور بعد انتهاء الحرب اضافة الى تدعيم مجهودها الحربي والزيادة في ميزانياتها الحربية .

"وهكذا فإن بلدان الخليج قد تجد نفسها مكبلة بالديون لمدة عشرية كاملة على الأقل" . (1)

تطوير الاسواق المالية في الدول العربية الفقيرة

من المعلوم انه بسبب ازمة الخليج فإن الدول العربية الفقيرة والتي تضررت بفعل نقص الاعانات المالية تحتاج الى تطوير اسواقها المالية وتأسيس بورصات مالية لجلب الاستثمارات الاجنبية وتطهير اقتصادياتها .

وصرح رجل اقتصادي عربي في ابو ظبي لوكالة الانباء الفرنسية "بأن الدول العربية غير النفطية ليس بامكانها التفويت في القطاع العام الى الخواص وهو عامل هام لتطوير اقتصادياتها بدون خلق موارد مالية".

وكانت بعض البلدان العربية قد اعدت مخططات للخوصصة لتطهير اقتصادياتها. ولن يكون ذلك ذي جدوى الا بعد خلق موارد مالية ذاتية حيث ان عشر دول عربية في مجموع الدول العربية البالغ عددها 21 دولة عضوا في الجامعة العربية لم تبعث بعد

---

(1) نفس المرجع السابق .

اسواقا مالية للبورصة ويواصل القطاع العمومي مراقبة النشاط الاقتصادي في هذه البلدان .
وكان انهيار سعر النفط الخام وتقلص الاعانات المالية القادمة من البلدان النفطية الغنية قد خفضت بشكل كبير في نسق النمو الاقتصادي في البلدان غير النفطية .
وقد تأثرت بالخصوص بلدان مثل مصر والاردن واليمن والسودان والمغرب والتي تتحمل اكثر من 75 بالمائة من مجموع حجم الديون غير العسكرية العربية بسبب انهيار عائداتها وعجز موازين مدفوعاتها .
وحسب تقرير نشره مؤخرا صندوق النقد العربي (1) فقد انخفض الناتج الوطني الخام للبلدان العربية غير النفطية بنسبة 4ر5 بالمائة سنويا مابين 1980 و1987 بسبب انخفاض الاعانات المالية.
وكان الناتج القومي الخام لهذه البلدان قد انخفض الى 6ر93 مليار دولار سنة 1988 مقابل 117 مليار دولار في السنة السابقة .
كما تراجع الناتج القومي الخام لبلدان مجلس التعاون الخليجي الست والعراق وليبيا بنسبة 2 في المائة حيث انخفض من 273 مليار دولار عام 1987 الى 268 مليار دولار عام 1988 .
اما البلدان النفطية المدعوة الى المساهمة في اعادة تعمير الكويت فانها ستجد نفسها في مستقبل قريب مضطرة الى التخفيض في حجم اعاناتها المالية وذلك ما سيؤثر بشكل اكبر على

---

(1) جريدة الصباح ، 10 مارس 1991، ص 8.

الدول المجاورة الفقيرة. وكان صندوق النقد العربي قد أعلن في السنة الماضية عن نية تطوير اسواق الاسهم، ولكن حرب الخليج قد ادخلت خللا على هذا المشروع الذي قد يشمل بلدانا عربية أخرى. وحسب تقرير جامعة الدول العربية لسنة 1990 فان "الاقلاع الاقتصادي في البلدان العربية غير النفطية قد يتعطل ان لم تتخذ هذه البلدان فورا مجموعة من الاجراءات لاعادة هيكلة اقتصادها". (1)

ومقابل ذلك تم تنجح اسواق البورصة في الخليج في تفادي نقل رؤوس الاموال العربية الى الخارج لأن جزءا كبيرا من هذه الاسواق يشرف على تسييرها مسؤولون محليون كما ان العديد من هذه الدول ليست لها مؤسسات بورصة وتسعيرات رسمية .

العلاقات الفرنسية العراقية بعد حرب الخليج

لقد فجر الاجتياح العراقي للكويت الاحتقان الذي بدأ قبل حوالي سنتين مع انتهاء الحرب العراقية - الايرانية بسبب خلاف مالي تناول مسألة تسديد بغداد الديون المترتبة عليه لباريس والتي قدرت بنحو 30 بليون فرنك فرنسي، اكثر من نصفها ديون عسكرية .

فعندما قبلت ايران قرار مجلس الامن رقم598

---

(1) جامعة الدول العربية ، التقرير الاقتصادي العربي الموحد ، 1990، تونس .

الداعي الى وقف النار، ظهر العراق مظهر المنتصر في الحرب، غير انه كان مثقلا "باعباء الديون المتراكمة طوال ثماني سنوات. وكان تقدير السلطات الفرنسية للموقف انذاك يقضي بمواصلة التوجه الايجابي" نحو العراق للافادة من مشاريع اعادة اعمار البلاد المقدر نفقاتها بحوالي 80 بليون دولار امريكي .

وعندما قررت الحكومة العراقية تجميد تسديد ديونها الخارجية لمدة ثلاث سنوات وتخصيص مجمل الامكانات المالية المتوافرة لمشاريع اعمار المرافق الحيوية والبنى التحتية للبلاد، اعتبرت فرنسا ان هذا القرار يشكل خللا كبيرا في مسيرة العلاقات خصوصا ان العراق قدم طلبا رسميا لاعادة جدولة ديونه مع منحه فترة سماح مدة ثلاث سنوات. واصر على مزيد من القروض والتسهيلات لشراء اسلحة واعتدة حربية ومدنية .

والمعلوم ان المبادلات التجارية الفرنسية مع العراق تراجعت بين عامي 1988 و1990 في انتظار ان تسدد العراق جزءا من ديونها او ان تعيد النظر في القيود التي فرضت على التسهيلات المالية له .

وبعد ما حصل للعراق على ايدي دول التحالف وانتهاء ازمة الخليج وعودة الشرعية الى دولة الكويت فإن المخاوف الفرنسية على الديون لازالت باقية. فالديون المترتبة على العراق مهددة بعدم التسديد لمدة طويلة اضف الى ذلك ان تيارا بدأ ينمو في الاوساط السياسية الفرنسية يدعو الى عدم القيام بحروب بدل الاخرين .

ومن المعروف ان الرئيس ياسر عرفات أول من اهتم بإيجاد حل سريع للنزاع العراقي الكويتي. وذلك نابع من حرصه الكبير والشديد الى انقاذ القضية الفلسطينية التي تتضرر كثيرا من جراء اي نزاع عربي - عربي . فاذا انقسم العرب وهو ما حصل، الى كتلتين سياسيتين متخاصمتين، فإن منظمة التحرير الفلسطينية وعلى رأسها رئيسها يقع بين نارين. العراق بالنسبة لدورة القومي اصبح المنبر السياسي الذي يطل منه دائما بعد اخراجه من لبنان وفشله في تثبيت اتفاق عمان وعجزه عن حل الخلاف مع دمشق. اما الكويت فهي تمثل الارضية الاعلامية الصلبة التي تجلس فوقها القيادات الفلسطينية بالاضافة الى تأمين دعم مادي ومعنوي متواصل سواء اكان ذلك من الدولة او من الجالية الفلسطينية التي بلغ عددها 400 ألف نسمة. ولا أحد ينكر ان الكويت شهدت ولادة فتح ومختلف تنظيمات المقاومة الفلسطينية. كما ان الكويت ظلت المعين الذي لا ينضب بالنسبة الى الثورة الفلسطينية في الخارج وبالنسبة الى الانتفاضة في الداخل. وهكذا فإن منظمة التحرير الفلسطينية وقيادتها وعلى رأسها الرئيس ياسر عرفات يدرك انه بحاجة الى القاعدتين في الوقت ذاته. وقد اوقعه الخلاف العراقي الكويتي في الاحراج. وهنا عمل الرئيس ياسر عرفات على اختيار الحل العربي الذي يضمن لكلا الطرفين حقوقهم .

ان ابو عمار يعرف جيدا ان ازمة الخليج لها نتائج اقليمية ودولية تؤثر في شكل سلبي على القضية الفلسطينية واضافة الى النتائج الاقتصادية

والاجتماعية هناك نتائج سياسية كبيرة فأخبار الانتفاضة وحتى القضية تراجعت في قائمة الاولويات وأصبحت اخبارها خلف اخبار لبنان وليبيريا وسري لانكا وكمبوديا. كل هذا لأن حدة الازمة على الصعيد العربي جردتها من الاهتمام الدولي بعد انشغال القوى العظمى بحرب اسعار النفط. كما ان اسرائيل استغلت هذا النزاع العربي العربي لتزيد ترسانتها الحربية ومساعداتها المالية وتستقبل اعدادا متزايدة من المهاجرين اليهود من الاتحاد السوفياتي وتقوي اكثر فأكثر علاقتها الاستراتيجية مع الولايات المتحدة الامريكية .

والمعروف ان ازمة الخليج انتجت تحالفات اقليمية جديدة واصبح العرب عربين عندما قررت الولايات المتحدة واوروبا الغربية توجيه ضربة للعراق. وقد حاول البعض وعلى رأسهم الملك حسين والرئيس ياسر عرفات منع تدويل المشكلة ومحاولة ايجاد حل عربي لها، كما حاولت الجامعة العربية باتصالها مع الفريقين تحاشي الوصول الى هذه النقطة خوفا من تدويل المشكلة وانتزاعها من ايدي اصحابها .

هذا وقد حصل المحذور وتدخلت قوات التحالف ، وضربت العراق وارغمته على الانسحاب من الكويت وفرض الشروط الكثيرة والخطيرة عليها وقبلها كلها دون معارضة وتكبدت العراق والكويت خسارة مادية وبشرية كبيرة اضافة الى حقد دولي وعالمي على العراق نتيجة لارتكاب ما تم تنفيذه في الكويت.

من المعروف ان الولايات المتحدة الامريكية لا تسمح للقوى الاقليمية بأن تهيمن وتتوسع وتأخذ دورها

في اغنى واهم منطقة وهي منطقة الخليج. واذا كانت الولايات المتحدة لم تسمح للاتحاد السوفياتي عندما كان قويا بالمشاركة في هذا الدور فهل تسمح للعراق بالاستيلاء عليه ؟!!!

وقد وصف الدكتور يوسف والي الامين العام للحزب الوطني الحاكم في مصر، الاجتياح العراقي للكويت بأنه "نكسة عربية تفتح الباب امام التدخلات الخارجية التي تريد للامة العربية ان يصيبها التفكك والانقسام" .(1)

وهكذا وبسبب غياب التضامن العربي والامن القومي العربي لهذه الامة شهد العالم العربي عدة حوادث مؤلمة منها عدوان 1956 على مصر من قبل العدوان الصهيوني وبمشاركة فرنسا وبريطانيا، والعدوان على العراق وتدمير مفاعله النووي عام 1981، واجتياح لبنان عام 1982، والهجوم الامريكي على ليبيا عام 1986، والحرب العراقية الايرانية وحرب الخليج .

والجدير بالذكر ان ازمة الخليج حدثت بسبب غياب التضامن العربي ولعدم توفر الأمن القومي للامة العربية. فلو كان هناك وجود للأمن القومي العربي فإن حرب الخليج لا يمكن ان تقع. كما ان الولايات المتحدة الامريكية نجحت في افراز تجمع عربي جديد لمحور منفصل يركز الاهتمام على تأمين المحور الاستراتيجي العربي في الخليج تاركا المحور الاستراتيجي الاساسي المتفق عليه منذ اربعين عاماكمحور للصراع العربي الصهيوني. وتركز

---

(1) جريدة الحياة اللبنانية ، 1990/8/8.

الولايات المتحدة الامريكية جهودها الامنية الدائمة لتكون من اجل تأمين نفط الخليج. وكالمعتاد تتخذ العرب (مصروسوريا) واجهة تغطي بها فاعليتها العسكرية والامنية في محور الخليج فقط .
ودون البحث والاشارة الى تفاصيل ازمة الخليج العسكرية فقد ارغم العراق على الانسحاب من الكويت واجتاحت قوى التحالف جزءا من العراق وارغم على تنفيذ قرارات مجلس الامن الصادرة بهذا الشأن وذلك بعد أن تكبد خسائر كثيرة من اثر التدمير الذي اصاب العراق والذي يقدر بحوالي 100مليار دولار كما اصاب الكويت تدمير وصل تقديره الى حوالي 70 مليار دولار. اضف الى ذلك ما اصاب عدد كبير من دول العالم من خسائر ستدفعها العراق وفق قرار مجلس الامن الدولي كتعويض في الحرب التي وافق العراق على تسديدها بموجب قرار مجلس الامن رقم 667 .
وتفيد بعض الدراسات ان العراق يحتاج لاعادة تعمير العراق بعد التدمير الذي اصابه من قوى التحالف الى مدة عشر سنوات حتى يعود العراق الى ما كان عليه قبل ازمة الخليج. كما ان العراق طلب تأجيلا لمدة خمس سنوات لتعويض الاضرار التي تسبب بها في الكويت خلال حرب الخليج .
ففي رسالة وجهها العراق الى الامين العام للامم المتحدة طلب تأجيلا لمدة خمس سنوات لتعويض الاضرار التي تسبب بها في الكويت خلال حرب الخليج. واشار العراق في رسالته الا انه بسبب التدمير الهائل الذي اصيب به العراق على ايدي التحالف خلال حرب الخليج، فانه من الضروري

امهاله خمس سنوات قبل البدء بدفع تعويضات الحرب التي وافقت بغداد على تسديدها الى الكويت بموجب قرار مجلس الامن رقم 667.

كذلك قدم العراق طلبين الى لجنة العقوبات التي تتألف من ممثلي اعضاء مجلس الأمن الخمسة عشر، طلبت في الاول السماح لها ببيع نفط بقيمة مليار دولار تخصص لشراء مواد غذائية. بينما الطلب الثاني لوقف العمل بقرار تجميد املاك عراقية بقيمة مليار دولار في البلدان الغربية طبقا لقرار مجلس الامن رقم 661 الذي فرض حظرا ماليا وتجاريا وعسكريا على العراق .

وقد اكد رئيس اللجنة الاممية للعقوبات التابعة لمجلس الامن ان للدول الاعضاء في الامم المتحدة كامل الحرية في رفع الحظر على الاموال العراقية المجمدة لديها مثلما تريد ذلك بغداد لشراء مواد غذائية. واضاف ان احدى الفقرات في قرار وقف اطلاق النار المصادق عليه يوم 3 افريل تعطي للحكومة حق رفع تجميد الاموال العراقية المجمدة اذا كانت الغاية من ذلك شراء مواد غذائية للعراق .

وترى دول كثيرة وخاصة الولايات المتحدة وبريطانيا ان قرار وقف العمل بتجميد الاموال يجب ان تتخذه كل دولة توجد فيها املاك عراقية، وان اللجنة يجب ان تكتفي بنقل الطلب دون ان يكون من الضروري اتخاذ قرار بهذا الصدد. وبالمقابل ترى دول أخرى انه ولو كان القرار عائدا الى كل دولة فإن على اللجنة ان تنقل الطلب العراقي مشددة على ضرورة رفع العقوبات المتعلقة بالمواد الغذائية. كما ان العراق طلب الافراج عن

مليار دولار من الممتلكات العراقية المجمدة في الدول الغربية على اثر قرار مجلس الامن رقم 661 الذي فرض حظرا ماليا وتجاريا وعسكريا على العراق .
وتجدر الاشارة الى ان ازمة الخليج وما افرزته من اتفاقات عربية وتكتلات دولية ضد العراق ومن اثارة اكراد العراق على الحَكم في بغداد ومشاكل اقتصادية كثيرة بحاجة الى حلول، خاصة وان العراق التزم بتنفيذ كل قرارات مجلس الامن الصادرة بشأن ازمة الخليج .
والواقع ان قضية الاكراد في شمال العراق ستفتح المجال لمشاكل متعددة بشأن اكراد تركيا ومشاكل اخرى مع ايران. وقد كانت تركيا في وقوفها مع قوى التحالف المناهض للعراق اثناء ازمة غزو الكويت والحرب التي اسفرت عنها، تأمل في الحصول على مكاسب سياسية واقتصادية كثيرة. وكان يمكن ان يتحقق ذلك كله لولا أن التطورات الكردية التي اعقبت الحرب خلقت لتركيا مشكلة عويصة، حيث ان ما يحدث للاكراد او بسببهم في العراق لا بدّ ان ينعكس سلبا او ايجابا على تركيا التي تضم نسبة اكبر من عددهم في المنطقة. ومما يذكر ان اتفاق مارس 1970الذي اقر الحكم الذاتي للاكراد في العراق خلق مشكلة واثار ارتباكا في البلدان المجاورة. ومنذ اليوم الاول للاتفاق اطلقت الصحافة الايرانية على الوضع في كردستان العراقية صفة "السلام المسلح" في ايحاء الى انه لن يدوم طويلا . وهو ما حدث بالفعل عندما تجدد القتال بعد أربع سنوات. وهكذا تتواصل المشاكل في المنطقة وتزداد تعقيدا بفضل التدخل الخارجي في

شؤون المنطقة. وعلى دول المنطقة ان تضع خطة امنية للمحافظة على كيانها دون تدخل خارجي وذلك في اطار جامعة الدول العربية وذلك من اجل الاستفادة القصوى من مواردها وطاقاتها .

الفصل الثالث

الرهان في حرب الخليج : النظام العالمي" القديم الجديد"

مقدمة

انه من الصعب بل من المستحيل ان نطرح او نحاول الخوض في مسائل كبرى (كالنظام العالمي مثلا) بدون وضعها في مسارها التاريخي، اذ لا يمكن للباحث الاقتصادي والاجتماعي ان يتوصل الى بعض استنتاجات لها حد ادنى من الاعتبار والوزن بدون التركيز على البعد التاريخي للمشاكل الهامة المطروحة امامه. نعم انه من البديهي ان نقول ان فهم وادراك الواقع العالمي المعاصر برجته الخليجية الحالية يستحيلان اذا غاب الاطار التاريخي والاقتصادي الاجتماعي الذي ينكب على الحاضر في آخر مستجداته محاولا ابراز المهم الخفي فيه يجد

نفسه امام باب مغلق اذا لم يلجأ حتميا الى طرح اسئلة على التاريخ، اذا لم يتمكن من قراءة التاريخ قراءة دقيقة ومعمقة توصله الى اكتشاف الاسئلة الصحيحة التي يجب طرحها على الماضي وعلى الحاضر، بهاته الطريقة المعرفية يتسنّى للباحث فهم حاضره المعقد والعمل على التحريض من اجل تغييره .

ان معرفة الماضي تسلط اضواءها على معرفة الحاضر واستشراف المستقبل لان الماضي والحاضر والمستقبل في تواصل معين على الباحث ان يجتهد في ادراكه. فبالتالي علاقة الاقتصادي الاجتماعي بالتاريخ علاقة حيوية وحتمية وفاعلة حيث ان الاسئلة التي يثيرها من الزاوية التاريخية ليست اسئلة مجردة وسطحية، ليست اسئلة الناسك المتأمل "المتصوف" بل هي اسئلة نابعة من مدى احتكاكه "الديناميكي" مع الحاضر المعاش .

كم نحن الاقتصاديون والاجتماعيون في ربوع بلادنا في حاجة ملحة الى هذه العلاقة المعرفية بالتاريخ، لان العديد منا في مجال الاجتماع والاقتصاد بالتحديد طغت علينا تلك النظرة الخصوصية السائدة في الفضاء الأكاديمي التي تقر بخصوصية الاقتصاد وامكانية عزله عن الواقع التاريخي الاجتماعي. ان النظرة المهيمنة نظرة مختزلة تجهل او تتجاهل البعد التاريخي للقضايا الاجتماعية والاقتصادية. لهذا كلما حصلت رجات كبرى في المجتمع العالمي كحرب الخليج مثلا وجد الباحث الاقتصادي "العادي" نفسه معدوم الطاقة المعرفية لفهم وتحليل الازمات الكبرى وتصبح

الخصوصية التي يتباهى بها معضلة تعيق طرح الاشكاليات الاساسية التي لا تقتصر على جانب واحد منعزل عديم التحرك التاريخي .
ان محاولتنا هذه المتواضعة لتحليل البعد العالمي التاريخي لحرب الخليج، يمكن اعتبارها قراءة ربما بسيطة وسريعة للتاريخ الاقتصادي السياسي المعاصر القريب. سوف نسعى ونجتهد على ربط العنصر الاقتصادي بالعنصر السياسي-العسكري لفهم الرهان الاساسي لهذه الحرب .
ان الفكرة الاساسية التي تتمحور عليها مساهمتنا المتواضعة هذه يمكن طرحها على شكل سؤال:ما هو الرهان الاصلي لحرب الخليج ؟
بايجاز ان الاطروحة التي نريد تقديمها بصفة دقيقة ومركزة تعتبر ان الرهان الاساسي هو بناء او اعادة بناء نظام عالمي جديد في شكله قديم في مضمونه يحدد و "يرتب" العلاقات الدولية في ظرف تاريخي متغير .
ان الاشكال الجوهري بالنسبة للعرب ولشعوب العالم الثالث هو في الحقيقة : أي نظام عالمي سوف يبنى في البعيد القريب، ماذا سيكون دورنا في بناءه وماذا سيكون مصيرنا فيه ؟ هذا السؤال يقر ضمنيا ان المجتمع الدولي يمرّ بمنعرج تاريخي اي ان هناك كثيرا من التغييرات العميقة قد تجمعت وتراكمت فعاليتها وتأثيراتها في المستوى العالمي حتى خلقت تحولا في المسار التاريخي للنظام العالمي السائد .
في هذا الاطار يجب ان نفهم ان بناء نظام عالمي

(1)"جديد" في هذا الظرف التاريخي الدقيق بالذات سيكون محل صراع يتخذ اشكالا متعددة. وهذا الاستنتاج البسيط وليد قراءة لتاريخ النظام العالمي حيث ان هذا الاخير عرف سيرورة تاريخية لا تقل على 5 قرون ومر بمنعرجات ومتغيرات عدة ولم يستقر الا في مراحل تاريخية معينة سبقتها وتلتها صراعات وهزات قوية. في هذا السياق سوف نحاول ان نبين ان حرب الخليج يمثل بالنسبة للقوى المهيمنة في النظام العالمي السائد وخاصة الولايات المتحدة الركيزة الاولى للنظام العسكري الجديد (بعد نهاية ما تسمى بالحرب الباردة) الذي سيبنى عليه النظام الاقتصادي السياسي الجديد .

حرب الخليج هي الاختبار الاول Test بالنسبة للاستراتيجية الامريكية الجديدة التي تسعى في هذا الظرف التاريخي لاعادة بناء اركان هيمنتها Hegemonie, Hegemony المتقلصة . اما

---

(1) عندما نتحدث عن نظام بمفهوم ORDER - ORDRE تبرز عدة معاني ومقاصد .

أ) – التوزيع – الترتيب – الهيكلة المبنية على ترتيب معين يخضع الى توزيع معين للنفوذ .

ب) – القوانين – التراتيب – الهياكل المكونة لمجموعة بشرية تتفق " عن قناعة " على الامتثال لها .

في هذا النطاق يمكن ان نرى ان مفهوم " النظام " ORDRE اذا اعتبرنا المجتمع العالمي ، يفترض هيكلة توزيعية وترتيبية للدول مقرونة بوجود تراتيب شرعية تقنن وتثبت هذه الهيكلة التي لا تعني التكافيء والمساواة غالبا ...

بالنسبة لشعب العراق فسوف نسعى الى ان نبين ان هاته المجابهة كانت اول تصدي للاستراتيجية الامريكية الهادفة لاعادة بناء نظام "جديد" في شكله كما ان هذه المجابهة تطرح من وجهة نظر العراق بوادر نظام دولي بديل ومغاير. كيف سنتناول هذا الموضوع وما هي العناصر التي سوف نركز عليها ؟.

أولا : سنبدأ بابراز وتحديد أهم سمات وخصوصيات النظام العالمي السائد (منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية) اقتصاديا وسياسيا. هنا سنشير الى ركائز هيمنة الولايات المتحدة اقتصاديا ثم الى دور ووظيفة بلدان العالم الثالث في هذا النظام المبني على اللامساواة واللاتكافيء في العلاقات الاقتصادية الدولية، اما من الناحية السياسية فامتاز هذا النظام بالاستقطاب الثنائي (الولايات المتحدة - الاتحاد السوفياتي) الذي مكن في الحقيقة القطب الامريكي الاطلسي من فرض ما اصطلح على تسميته ب PAX AMERICANA (2) على سائر الامم.

اما النقطة الثانية : فسنتناول ابرز التغيرات التي عرفها هذا النظام ومن أهمها دخول الولايات المتحدة في منعرج الستينات مرحلة الانحدار Decline-Declin كقوة اقتصادية مهيمنة.

اما فيما يخص العالم الثالث فسنبين كيف تمكن خاصة في السبعينات من طرح مفهوم النظام الاقتصادي العالمي الجديد، لماذا فشل العالم الثالث

(2) سلم واستقرار في العالم يخدمان اساسا المصالح الامريكية الاطلسية.

(وفي طليعته البلدان العربية المصدرة للنفط) في فرض ميزان جديد للقوى تمكنه من التصدي الى آليات اللاتكافيء واللامساواة التي تتناقض كليا مع اهدافه التنموية، هذا الفشل أدخل العالم الثالث مرحلة تراجع وجزر في الثمانينات مع انخرام الاوضاع الاجتماعية والسياسية والخضوع الى مواصفات الصندوق الدولي والبنك العالمي .

اما من الناحية السياسية فمن ابرز التغيرات، ظهور PERESTROIKA مع انهيار العالم الاوروبي الشرقي وتفتته ممّا ادى الى ما يسمى بنهاية الحرب الباردة والتي سوف يكون لها تأثير عميق على النظام العالمي السائد .

في هذا الظرف التاريخي المتغير برزت في الولايات المتحدة تصورات جديدة حول النظام العالمي .

<u>ففي النقطة الثالثة</u> : بالذات سنحاول تحليل هذا المفهوم الجديد الذي تعد حرب الخليج اول اختبار تطبيقي له . ماذا تعني استراتيجية الردع الانتقائي Discriminate Deterrance ; Dissuasion selective; والحروب المتوسطة الشدة guerres d'intensite moyenne, middle intensity wars الموجهة اساسا ضد القوى الصاعدة في العالم الثالث لماذا تعد عملية تدمير العراق عاجلا او آجلا مشروعا واضحا يهدف الى ارساء قواعد هذا النظام "الجديد" من الناحية العسكرية والسياسية ؟.

<u>اما في النقطة الرابعة والاخيرة</u> : فسنتناول حرب الخليج من منظور التصدي الاول لهذا النظام العالمي الذي تريد الولايات المتحدة المتحدة وحلفاءها

فرضه على الشعوب . ان التحدي العراقي يعد محاولة تهدف في مضمونها العميق تغيير الاوضاع والمعطيات اقليميا ودوليا وبالتالي سنبين انها في تواصل مع اهداف اطروحات ومطالب بلدان العالم الثالث في السبعينات حول النظام العالمي الجديد وهي ليست فقط تواصل لتلك الاهداف والاطروحات بل هي تصعيد وتجذير لهذا المشروع (الذي فشل في السبعينات) وتعطي له مضمونا اوسع في تناقض كلي مع التصور الامريكي الاطلسي " الجديد القديم ".

I النظام العالمي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية

1I) اول ظاهرة امتاز بها النظام العالمي بعد نهاية الحرب العالمية الثانية هي بروز الولايات المتحدة الامريكية كقوة عظمى مهيمنة هيمنة مطلقة اقتصاديا سياسيا وعسكريا على المستوى الدولي، فيمكن بالتالي ان نتحدث على مرحلة أو "عصر" الهيمنة الامريكية (3) Ere de l:Hegemonie Nord americaine, U.S Hegemonie Erea. وانبنت هاته الهيمنة اقتصاديا على الأشواط التي اخذتها الولايات المتحدة في

---

(3) يمكن ان نقول وان بريطانيا احتلت تاريخيا مركز الهيمنة العالمية حتى حدود اواخر القرن التاسع عشر او بالضبط عند حلول الازمة الاقتصادية الكبرى في سنة 1873، ومنذ ذلك التاريخ دخلت بريطانيا طور الانحدار وبدأت المنافسة الشديدة العنيفة بين الولايات المتحدة والمانيا من اجل الهيمنة العالمية . وبهزيمة المانيا تبوّأت الولايات المتحدة مركز الهيمنة العالمية .

مجال الانتاج والتفوق المطلق في الانتاجية الصناعية (4) اصبحت الولايات المتحدة تمثل ما يقرب من ثلثي (63٪) انتاج الخمس دول الغربية العظمى [الولايات المتحدة -اليابان- المانيا-فرنسا-بريطانيا]. اصبح الدولار العملة العالمية للمبادلات والاحتياط. مع ميزان تجاري ايجابي ذو فائض كبير، بهذه الامكانات فرضت الولايات المتحدة نمطها التنموي الاقتصادي [مشروع مرشال Plan Marshal] المالي والتجاري والقانوني، [اتفاقيات بيرتون ودس Bretton Woods. انشاء الصندوق الدولي-البنك العالمي... وG.A.T.T و OCDE..] هدفت كل هاته الاليات والمؤسسات والاتفاقيات لارساء ودعم ركائز الهيمنة الاقتصادية المطلقة للولايات المتحدة .

I_2) الظاهرة الثانية التي تميز هذا النظام العالمي اقتصاديا (وبالتالي سياسيا) هي العلاقات الدولية المبنية على اللامساواة واللاتكافيء (5).ان

---

(4) تركز نمط التنمية على ما يسمى بالنظام الفوردي FORDISM [تغيير وتطوير هائل سريع في مجال التقنية وتنظيم العمل داخل المؤسسات] الذي يربط بصفة اساسية بين نسق تطور الانتاجية ونسق نمو الطاقة الشرائية للاجراء، [بين 1948 و1966 كانت نسبة ارتفاع الانتاجية تساوي نسبة نمو الاجر الحقيقي المتوسط 6ر2٪ .

(5) ليست هاته الظاهرة جديدة في التاريخ المعاصر منذ ما يقرب عن 5 قرون - لكن اساليب وآليات اللامساواة والاستقطاب Polarization تتغير حسب المراحل التاريخية .

المستوى الدولي حسب موازين قوة تاريخية بكيفية تمكن البعض [الدول الصناعية المهيمنة] من "احتكار" الانشطة الاقتصادية المتقدمة تكنولوجيا ذات الدور المصنّع الاستراتيجي الذي يضمن نسبة عالية من السيطرة الذاتية على الاقتصاد الوطني ، هاته الظاهرة الثابتة ترتكز على عنصرين اساسيين:

I 2 أ) التقسيم العالمي للعمل اللامتساوي :

وهو" باختصار " توزيع " الانشطة الاقتصادية عليوتحدد للدول الاخرى [العالم الثالث اساسا] مجالات ضيقة من الانشطة الاقتصادية المهمشة والبسيطةالتي تكرس الهشاشة والتبعية الاقتصادية [المواد الاولية - بعض الصناعات الخفيفة كالنسيج مثلا] .

I 2 ب) العلاقة التبادلية اللامتكافئة على المستوى الدولي :

في هذا الاطار يجب ان نؤكد انّه خلافا لما يروجه الاقتصاد الاكاديمي السائد فان علاقة التبادل خاصة في المجال الدولي هي خليط او مزيج من التبادل والقوة Power-Pouvoir وبالتالي فان السعر غالبا وليد آليات قوة وسيطرة في مستوى السوق وخارجه .

ان العديد من الدراسات الاقتصادية ،المعمقة والمبنية على البعد التاريخي بيّنت وتبيّن بصفة جلية ان اللجوء الى القوة (بالمعنى المادي) في تحديد الاسعار في السوق العالمية ظاهرة ثابتة ودائمة مهما كانت آليات ووسائل الاخفاء والتورية حيث تبدو الاسعار الجارية وكأنها وليدة التفاوض السليم

والتنافس الحر بين قوى اقتصادية "متساوية".
ان اللجوء الى العنف المادي من حين تاريخي الى آخر (الحروب والحملات الاستعمارية...) ظاهرة قديمة جديدة تهدف الى ضمان وتأمين مبدأ اللامساواة في التبادل الدولي. ان هذا اللجوء الى القوة ليس آلي وحيني وضروري في كل معاملة تجارية بل يتحتم في الظرف التاريخي الذي يفرز ميزان قوى جديد قد يحقق او يحقق فعلا تصدي يخلّ بصفة اساسية بمبدأ اللامساواة في التبادل. بعد ان تمر الازمة التي استوجبت اللجوء الى العنف لتثبيت جديد للامساواة في التبادل تصبح الامور وكأن المبادلات التجارية الدولية لا تخضع سوى لآليات السوق المحايدة.
هذا باختصار فيما يخص الخصوصيات الاقتصادية الاساسية للنظام العالمي بعد الحرب العالمية الثانية، اما على الصعيد السياسي فيمكن لنا بعجالة ان نبرز :
I 3) صعود المعسكر "الاشتراكي" الشرقي بزعامة الاتحاد السوفياتي كقطب سياسي، ايديولوجي وعسكري منافس. ويعد مؤتمر يالطا Yalta نقطة تحوّل تاريخية حيث اقرّ مبدأ وشروط الاستقطاب الثنائي Bipolarization بين الولايات المتحدة-الحلف الاطلسي من جهة والاتحاد السوفياتي-حلف فرسو من جهة اخرى. يجب علينا ان نعتبر ان هذا الاستقطاب الثنائي ركيزة اساسية للنظام العالمي المبني كما سلف ذكره على الهيمنة الاقتصادية المطلقة للولايات المتحدة ، حيث ان "صفقة" يالطا Yalta تقرّ دور الاتحاد السوفياتي العالمي كقوة

محتكرة للحركة الشيوعية العالمية ومتمكنة من السيطرة على الفضاء الاروبي الشرقي [chasse gardee] ولكنها في نفس الوقت تقبل ضمنيا وعمليا La Pax Americana يعني المفاهيم والآليات السياسية التي تسمح للولايات المتحدة بفرض "امنها" العالمي. فما سمي بالحرب الباردة ليس الا تعبير عن هذا الاستقطاب الثنائي الذي يقر مبدأ التنافس الايديولوجي لكن في حدود " صفقة " Yalta التي مكنت في آخر المطاف من اقرار شروط الاستقرار Stabilite, stability ضمن المفهوم الامريكي للامن العالمي Pax Americana .

I 4) اما العنصر السياسي الاخير المميّز لهذا النظام فهو بروز شعوب العالم الثالث على الساحة العالمية كقوة فاعلة. عرفت حركة التحرر الوطني تصعيد او تجذرا واسهمت في تحريك عجلة التاريخ بطيّ صفحة العهد الاستعماري التقليدي. وفي هذا المجال يمكن ان نعتبر مؤتمر بندنق BANDOUNG سنة 1955 منعطفا تاريخيا كبيرا مكن شعوب العالم الثالث التي كانت تخضع الى العنف الاستعماري من خلق فضاء تاريخي جديد متوج للمد التحرري، فضاء لقاء وتضامن تبلورت فيه مبادىء الحياد الايجابي المناهض لكل انواع الهيمنة والسيطرة الدولية والمطالب باصلاح او تغيير اسس النظام الاقتصادي العالمي التي تقر اللامساواة واللاتكافىء. نعم خلق مؤتمر بندونق Bandoung فضاء تاريخيا جديدا مكّن شعوب العالم الثالث من هامش التحرك الذاتي Marge de manoeuvre et d'autonomie, Margin of manoeuvre and autonomy للمضي قدما في الدخول

الى مرحلة البناء الوطني التي تحتّم خوض صراع متعدّد الاساليب لتغيير مقومات وركائز النظام العالمي السائد .(6) بعد تعرفنا بايجاز على اهم خصوصيات النظام العالمي الذي برز وتدعم بعد الحرب العالمية الثانية علينا الآن ان نسلط بعض الاضواء على التغييرات الاساسية التي عرفها هذا النظام في العقدين الاخيرين خاصة .

II) اهم التغيرات التي عرفها النظام العالمي

II 1) اول ما يجب التركيز عليه لما له من صلة مباشرة برهان حرب الخليج هو دخول الولايات المتحدة من اواخر الستينات مرحلة الانحدار ,Declin Decline وتقلص القاعدة الاقتصادية لهيمنتها العالمية بحيث يمكن ان نتحدث على بداية نهاية الهيمنة الاقتصادية (وبالتالي السياسية والعسكرية) الامريكية العالمية هذا لا يعني ان التحول فجئي

(6) برزت في مؤتمر بندونق اتجاهات ثلاثة حول مفهوم الربط بين البناء الوطني والنظام العالمي السائد ، فهناك من اعتبر ان مشروع البناء الوطني لا يتناقض في الاساس مع مصالح البلدان المهيمنة اقتصاديا المهيكلة لصالحها النظام العالمي . وهناك من اعتبر ان هذا البناء يحتم علاقات تلاقي وتعاون وعلاقات صراع وتناقض من اجل نظام عالمي جديد وهناك اخيرا من اعتبر ان التغيير الجذري للنظام العالمي السائد ضروري لنهوض شعوب العالم الثالث .

وسريع بل سيأخذ نسقا تاريخيا متوسط الامد [عشرات السنين او أكثر] لكنه يعكس تغيرات هيكلية (غير عابرة) ثقيلة الوقع التاريخي بحيث يستحيل الى حد ما ايقاف او عرقلة هذا المسار الانحداري بصفة ثابتة ودائمة مهما كانت المحاولات المتكررة.ان الجدول اللاحق يدل على دخول الولايات المتحدة مرحلة تراجع وركود اقتصاديين كبيرين حيث انخفض نسق الانتاج من 4ر4٪ الى 2٪ ونسق الانتاجية من 6ر2٪ الى 9ر0٪ ونسق القوة الشرائية للاجر المتوسط من 6ر2٪ الى0٪ وهذا الكساد الاقتصادي ليس عابرا ووقتيا بل عميقا ودائما [رغم بعض الانتعاشة النسبية في السنوات الاخيرة]. ان هاته المعطيات تفيد ان مكونات الازدهار الاقتصادي والتفوق الامريكي دوليا بدأت في منعرج الستينات تتفتت وتصبح هشة حيث تمكنت البلدان المصنعة المنافسة من تغيير موازين القوى الاقتصادية لصالحهم شيئا فشيئا حتى فقدت الولايات المتحدة الاسبقية في مجال الانتاجية وبالتالي في الطاقة التنافسية على مستوى السوق العالمية، فأصبح بالتالي الميزان التجاري الامريكي يعرف عجزا هيكليا دائما تولد عنه ازمة دائمة في مستوى الدفعات المالية الخارجية فأمست المديونية الهائلة من خصوصيات الاقتصاد الامريكي منذ اواخر الستينات .

في منعرج السبعينات عرف النظام الاقتصادي العالمي وعلى رأسه الولايات المتحدة ازمة اقتصادية هيكلية تماثل من حيث وقعها التاريخي ازمة 1873 وازمة 1930. بدون الدخول في اسباب ومسببات

هاته الازمة الكبرى علينا ان نشير فيما يخص موضوعنا ان الولايات المتحدة منذ اواخر الستينات عرفت انخفاضا ملحوظا في اهم مؤشرات التنمية. (7)

---

(7) يتحدث كثير من المحللين عن الانحدار النسبي للولايات المتحدة Relative Decline -Declin Relatif هذا يعني وان الولايات المتحدة لا تزال دولة عظمى مع انها فقدت اهم المكونات الاقتصادية التي جعلت منها دولة مهيمنة اقتصاديا هيمنة مطلقة . كذلك يجب ان نضيف ان هذا المسار التاريخي الانحداري ليس مسارا منتظما بل يعرف وسيعرف تقلبات لكن التقلبات [مد وجزر] لن تتنافى مع النزعة الانحدارية الهيكلية.

السنوات	66-1948	1973-66	1973-79	1979-86
الانتاجية	6ر2٪	8ر1٪	5ر0٪	9ر0٪
الانتاج القومي	4ر4٪	2ر3٪	6ر2٪	2٪
الاجر الحقيقي	6ر2٪	1ر2٪	4ر0٪	0٪

المصدر Monde Diplomatique Mai 1988

المديونية الامريكية . [مليون الدولار الجاري]

	1980	1990
الديون الحكومية	1250	4050
ديون المؤسسات	829	2100
ديون.المستهلكين	1300	3000

Monde Diplomatique Mars 1991

هاته الظاهرة الخطيرة استوجبت عملية الفك

Deconnexion, Delinking بين الدولار والذهب بحيث فقد الدولار دوره كعملة احتياط عالمية .
من الاسباب التي عمقت الازمة الاقتصادية في الولايات المتحدة علاوة عن الحرب التنافسية مع القطب الهادي Pole pacifique, pacific pole [اليابان بالاساس] والقطب الاوروبي الغربي [المانيا بالخصوص] لا بد ان نشير الى الانعكاسات الكبيرة لحرب (وهزيمة) الفيتنام وكذلك الى الرجة النفطية التي تلت حرب اكتوبر 1973 والتي فتحت المجال للمطالبة باصلاح النظام العالمي السائد (8).
ان الهزيمة التي منيت بها الولايات المتحدة في فيتنام مؤشر اساسي لدخولها في المسار الانحداري ولبداية نهاية هيمنتها العالمية حيث انه اصبح من الصعب جدا (وربما مستحيلا) للجهاز الاقتصادي الامريكي ان يضمن النجاعة الكافية لتغطية تكاليف الهيمنة السياسية العسكرية. هنا يجب ان نفهم وان هناك معادلة حيوية يجب على القوة المهيمنة ان تحققها حتى تضمن استمرارية دورها المهيمن دوليا. المعادلة هي بين الحركية الاقتصادية [النزعة الدائمة للابداع التقني والرفع من الانتاجية والتخفيض من تكاليف الانتاج] والقيود المالية المتولدة من ضرورة تحقيق الهيمنة السياسية العسكرية على مستوى عالمي. وفي هذا المجال تفيد التجربة التاريخية ان دور الهيمنة العالمية يتقلص حتى يضمحل بعد شوط تاريخي عندما تصبح شروط المعادلة التي ذكرناها غير متحققة. حيث ان

(8) سنتناول الحديث حول هاته النقطة الاخيرة فيما بعد

.التكاليف الهائلة المتأتية من ضرورة تحقيق الموقع المهيمن سياسيا وعسكريا على المستوى العالمي [النفقات العسكرية خاصة]-هاته التكاليف المتصاعدة - تصبح عائقا للحركية الاقتصادية، اي بعبارة اخرى يصير الجهاز الاقتصادي عديم القدرة لتحقيق الفائض المطلوب لسدّ نفقات المجهود السياسي العسكري للقوة المهيمنة عالميا . هذا بالضبط ما حصل للولايات المتحدة منذ اواخر الستينات حيث اصبح الدور التي تلعبه دوليا كقوة مهيمنة يتطلب مردودا اقتصاديا كليا لم تعد الولايات المتحدة قادرة عليه (9). ان تفاقم النفقات العسكرية في حرب فيتنام استوجبت ارتفاع الضغط الجبائي واللجوء المطّرد للمديونية (10) في الوقت الذي بدأت فيه الولايات المتحدة تعيش

---

(9) بالنسبة لمنافسيها حصل بالولايات المتحدة تدهور في مستوى الانتاجية وارتفاع في كلفة الانتاج عموما . زيادة على ضغوط النفقات العسكرية التي تستوجب الرفع من المردود الجبائي الذي بدوره يرفع كلفة الانتاج في المؤسسات .

(10) حطمت الولايات المتحدة رقما قياسيا هائلا في مجال المديونية حيث بلغت مجمل الديون الامريكية 3214 مليار دولار! في حين ان العالم الثالث كله لم تصل ديونه رغم ضخامتها حتى نصف هذا.. ان هشاشة الاوضاع المالية الامريكية وصلت الى حد جعلت المسؤول على الخزينة يصرح سنة 1989 ان الولايات المتحدة اصبحت اكثر البلدان حاجة الى القروض الخارجية حتى انها صارت غير قادرة على تحديد سعر الفائدة بصفة مستقلة .

تقهقرا اقتصاديا بالنسبة للبلدان المصنعة المنافسة. فبالتالي وكما قلنا ان عدم تحقيق شروط المعادلة الحيوية الصعبة يبين ان تكلفة الهيمنة (11) Hegemony Cost, Cout de l'Hegemonie تتطلب حركية اقتصادية هائلة ودائمة مبنية بصفة حيوية على ما يسمى بالمركب الصناعي العسكري. وهنا يجب الاشارة ان الاقتصاد الامريكي يرتكز الى حد كبير على الدور الحيوي الذي يلعبه هذا المركب اي قطاع انتاج العتاد والسلاح. ففي السنوات الخمسين مثلت النفقات العسكرية 1٪ من الانتاج القومي الخام (12). فيما بين 1953 و1967 موّل البنتقون Pentagone 50٪ من البحوث العلمية !

Recherche Developpement, Development Research

وأصبح بعث المشاريع الجديدة في مجال البحث والصناعة الحربية بصفة مستمرة من خصوصيات الحركة الاقتصادية في الولايات المتحدة. زيادة على هذا يجب ان نذكر ان الحرب [العالمية الثانية / كوريا / فيتنام الى حد ما] لعبت دورا "ايجابيا" بالنسبة للولايات المتحدة كمحرك مضاد لحقبات الركود والتراجع في مجال الاقتصاد .

---

(11) لا ننسى في هذا المجال ما سمي بسباق التسلح بما فيها حرب الفضاء بين القطبين وما تولد عنه من نفقات هائلة

(12) في السنوات الاخيرة قدرت النفقات العسكرية ب 300 مليار دولار سنويا . والعجز في الميزانية 3٪ من الانتاج القومي الخام .

.في نهاية الامر ان اهم استنتاج نبلغه هو ان الولايات المتحدة دخلت في فترة تاريخية بدأ دورها المهيمن يتقلص لان المكونات الاقتصادية الضامنة لهاته الهيمنة ضعفت واصبحت هشّة وصارت غير قادرة على تحقيق المعادلة الحيوية التي تؤمن استمرارية الهيمنة ، لكن كما اوردنا سلفا لا يعني هذا ان الولايات المتحدة فقدت كل الامكانات للحيلولة دون [حصول /قبول] هذا المسار الانحداري الهيكلي (13). لازالت هناك مراكز قوة تحاول ايقاف هذا المسار وحتى عكسه لكي تتمكن الولايات المتحدة من الحفاظ المتجدد على هيمنتها المتقلصة. ومن هنا يأتي الرهان الاساسي لحرب الخليج بالنسبة للولايات المتحدة كفرصة تاريخية سانحة لاسترجاع القوة والنفوذ كدولة مهيمنة عالميا. وهذا ما سوف نلقي عليه الاضواء فيما بعد .

اذن علينا ان نأخذ بعين الاعتبار الظرف التاريخي المميز للاوضاع الاقتصادية [وبالتالي السياسية والعسكرية] بالولايات المتحدة. فعلاوة على الظاهرة الهيكلية للمنعطف الانحداري الذي بدأ في اواخر الستينات والمتزامن مع الازمة الاقتصادية العالمية – فعلاوة على هذا المعطى التاريخي الثقيل – عرفت الولايات المتحدة في السنوات الاخيرة تفاقما في

(13) يعتبر البعض ان اسلوب ريقن في ادارة السياسة الامريكية ، ذلك الاسلوب المتشدد المتعنت الذي تجسم مثلا في الاعتداء على طرابلس وعمليات الانزال والغزو ب Grenada قرينادة ولبنان .. يعتبر هذا الاسلوب منهجا لاسترجاع النفوذ من اجل الهيمنة المتقلصة.

تأزم الوضع الاقتصادي. فبعد انتعاشة نسبية وعابرة في منتصف الثمانينات رجعت كل المؤشرات تدل على الانكماش وبالتالي على عمق واستمرارية الركود والتراجع الدالان على هذا المسار الانحداري الهيكلي (14) .

II 2) العالم الثالث والنظام الاقتصادي العالمي الجديد : من المد الى الجزر

اما التغيير الثاني الهام في النظام العالمي خلال العقود الاخيرة فهو يخص بلدان العالم الثالث. كنا قد اشرنا سالفا كيف دخلت شعوب العالم الثالث مسرح التاريخ كقوة فاعلة في ظل حركات التحرّر الوطني التي قضت على الكيان الاستعماري المسيطر لعدة قرون وكان مؤتمر بندونق كما قلنا متوجا ومدعما لهذا التوجه التحرري التاريخي.لقد عرفت بلدان العالم الثالث (بتفاوت) مرحلة مد تاريخي خاصة في عقد الستينات ومنتصف السبعينات حيث تمكنت الى حدّ ما من فرض وجودها والمطالبة بحقها في اصلاح وتغيير النظام العالمي السائد المبني على اللامساواة واللاتكافيء .

ليس المجال هنا للخوض في كل جزئيات هذا التطور التاريخي بل نريد التركيز على اهم حقبة ايجابية في الصراع من أجل تغيير النظام العالمي والذي تكونت فيها ميزان قوى جديد [لمدة زمنية

---

(14)تراجع نسق نمو الانتاج الخام بالولايات المتحدة من 5ر4٪ سنة 88 الى 5ر2٪ سنة 1989 الى 1٪ سنة 1990 هذا مع تزامن ازمات بنكية ومصرفية خطيرة وعجز متفاقم للميزانية .

.محدودة] لصالح بلدان العالم الثالث ، هذا الميزان الجديد الذي انقلب في منعرج الثمانينات ليحدث تراجعا وتقهقرا في العالم الثالث .
تعتبر حرب اكتوبر 1973 نقطة تاريخية فاصلة في النظام العالمي حيث استعمل النفط كسلاح عند العرب في الصراع الدولي من أجل السيادة الوطنية على منتوج استراتيجي وفي المجابهة المباشرة ضد ذلك المبدأ الثابت والفعال المهيكل للنظام العالمي : مبدأ اللاتكافيء في علاقة التبادل

Principe de l'echange inegal,

Inequal exchange principle

كنا قد بيّنا سالفا ان هذا المبدأ (الثابت في المضمون والمتغير في الشكل) محل صراع دولي يتخذ في فترات تاريخية معينة صبغة حادة تحتم للخصوم اللجوء الى الحرب حتى يفرض من جديد ولفترة زمنية معينة ميزان قوى يؤمن عدم التكافيء في المبادلات لصالح الدول المهيمنة والتي تحتل دورا مركزيا مسيطرا في النظام العالمي .
فقضية النفط وبالتحديد ضبط سعر هذا المنتوج الاستراتيجي [اصبح وسيبقى] محور جانب كبير من الصراع الدولي الذي يكون فيه العرب الطرف الخصم الرئيسي . وجوهر هذا الصراع الدائم والمتجدد هو ذلك العنصر الاساسي المميز للنظام العالمي: اللاتكافيء في التبادل.
ان حرب اكتوبر 1973 قد فتحت المجال التاريخي لتغيير شروط التبادل التي ميزت المنتوج النفطي وخلقت فضاء جديدا لشعوب العالم الثالث [المصدرة

للنفط خاصة كالعرب] لخوض صراع سياسي يهدف الى الحد على الاقل من سلبيات النظام العالمي السائد في مجال المبادلات وتوزيع الانشطة الاقتصادية .

ان قرار البلدان المصدرة للنفط بتعديل سعر برميل النفط بين 1973 و1974 بنسبة هائلة [4 ×] تعد تحديا كبيرا فريدا من نوعه في التاريخ المعاصر لانه غيّر جذريا علاقة التبادل اللامتكافئة (15). ويمثل هذا القرار الذي لعب العرب دورا رئيسيا في تجسيمه، بداية مجابهة متعددة الحقبات وحرب الخليج آخر وأعنف حقبة فيها، لان التحدي الذي رفعه العراق كما سنبينه باجتياحه الكويت شكل تهديدا مباشرا لمبدأ اللاتكافيء في المبادلات خاصة بالنسبة لمنتوج حيوي كالنفط .
لهذا يبدو لنا وان في هذا التحدي العراقي تواصل تاريخي مع التحديات التي رفعت في منتصف السبعينات والتي انطلقت من قرار البلدان المصدرة للنفط وتمحورت عند مجموعة 77 التي تزعمتها الجزائر وعبئت اغلبية بلدان عدم الانحياز.
كل هاته التحديات اعلنت من اجل بناء نظام

(15) ان سعر النفط الحقيقي او الطاقة الشرائية الحقيقية لبرميل النفط قد انخفض من اواخر الاربعينات الى بداية السبعينات بنسبة 65٪ وكان سعر البرميل سنة 72، 5ر2 دولارا. وبين 73 و74 قفز سعر البرميل قفزة عملاقة الى 13 دولار فكانت اول طفرة او رجة نفطية .

اقتصادي عالمي جديد . (16) فماذا كانت المطالب الى اصلاحالنظام العالمي (17) ؟ يجب علينا بايجاز التذكير بها حتى نبرز هذا التواصل والربط مع مقاصد حرب الخليج .

أ) اول مطلب يتعلق بالسيادة الوطنية الحقيقية على الموارد الطبيعية [الحق في التأميم والتحكم الذاتي في الموارد الطبيعية] مع ايجاد صيغ واضعة لتقنين تصرف الشركات المتعددة الجنسيات في هذا المجال للحيلولة دون سيطرتها وتحكّمها في استغلال الموارد الطبيعية للعالم الثالث بصفة تتنافى مع اهداف البناء التنموي الوطني .

(16) ان الحقبات التي مرت بها حرب النفط متعددة فتتحدث الادبيات الاقتصادية الاكاديمية عن الصدمات النفطية oil shocks, chocs petroliers والصدمات المضادة antichocks, contre chocs والمصطلحات في حد ذاتها معبرة ودالة على مضمونها المنحاز للقوى المهيمنة في النظام العالمي. فعندما يعدّل السعر في اتجاه ارتفاعي تعدّ العملية صدمة:صدمة 74-73(4 ×) وصدمة 79(2 ×) اما عند انخفاض السعر فيتحدث عن صدمة مضادة:في سنة 1986 اسقط سعر البرميل بنسبة 100٪ يعني (2 /) اصبح نصف ما كان عليه وتمادى هذا المسار الانخفاضي الى سنة 1990...حيث اصبح السعر الحقيقي للنفط في مستوى 1960.لهذا كانت القوى الاقتصادية المهيمنة تخشى كثيرا من حدوث صدمة نفطية ثالثة تعمق الاتجاه الانكماشي للاقتصاد العالمي.

(17) اتخذ الصراع السياسي من اجل النظام الاقتصادي العالمي الجديد شكل لقاءات ومؤتمرات دولية كثيرة ومتعددة انطلاقا من 74-1973 الى منتهى السبعينات. انظر عبد القادر سيد احمد: شمال – جنوب : الرهان (بالفرنسية)

Abdelkader Sid Ahmed . Nord-sud: les enjeux. publisud - Paris, 1981

ب) اعادة النظر والعمل على تغيير التقسيم اللاعادل للعمل في المستوى الدولي وذلك :
ب أ) اولا: باتاحة الفرص لبلدان العالم الثالث للتمكن من نقل والتحكم في التكنولوجيا الحديثة حسب اسس وتراتيب قانونية يقع الاتفاق عليها Code de conduite pour le transfert technologique وذلك اعتبارا بأن التحكم الفعلي في التكنولوجيا عنصر حيوي في عملية التنمية ذات التوجه المستقل والحال ان انتاج وتسويق التكنولوجيا الحديثة يخضعان الى آليات يسودها الاحتكار والخلفيات الاستراتيجية المعرقلة والمانعة من دخول العالم

الثالث في ميادين التقنيات الاكثر حداثة وفاعلية في مجال الحركية الاقتصادية والتي تضمن نسبة عالية من الاستقلالية والقوة التفاوضية على المستوى الدولي
(18) Pouvoir de negociation, Bargaining power
ب ب) ثانيا :بتمكين بلدان العالم الثالث من الخروج من طور انتاج المواد الاولية ودفعه في عملية التصنيع وذلك برفع العراقيل المتنوعة والكثيرة التي تحول دون اكتساحه الاسواق العالمية لبيع منتوجاته الصناعية .

(18) ان بلوغ العراق نسبة لا يستهان بها دوليا في التحكم في التقنيات الحديثة مكسبا كان يمثل وجها للرهان في حرب الخليج . هل يسمح لبلد صاعد في العالم الثالث ان يتألق في سلم التحكم التكنولوجي [العسكري منها خاصة] حتى يصبح يهدد ركائز الهيمنة القائمة .

ج) اما فيما يخص علاقة التبادل اللامتكافئة فكان المطلب المتكرر هو الوصول الى الحد من سلبيات هاته العلاقة وذلك بتثبيت Stabilization اسعار السلع التي تنتجها بلدان العالم بما يضمن لها شروط تبادل (19) معقولة ومرضية دون تلك الشروط السائدة اي المتقلبة والمتدهورة بصفة تكاد تكون دائمة . ومثل تحديد سعر النفط اهم محور في المفاوضات لما لهذا المنتوج من دور استراتيجي مؤثر في النظام العالمي .

د) واخيرا يجب الاشارة الى المطالبة باصلاح النظام المصرفي الدولي بكيفية تمكن بلدان العالم الثالث من المشاركة الفعالة في اخذ القرارات على مستوى المؤسسات المالية الدولية [الصندوق الدولي- البنك العالمي] حتى تعالج قضايا تمويل التنمية والمديونية بصفة جدية وملائمة للاهداف التنموية للعالم الثالث. في الحقيقة وفي آخر المطاف لا بد من القول ان الرهان الاساسي الكامن وراء كل هذا الصراع السياسي هو اعادة توزيع النفوذ الاقتصادي بين الشمال والجنوب وبالتالي هيكلة جديدة "محتشمة" للنظام العالمي. ولكن رغم صبغته الاصلاحية المتعقّلة

---

(19) شروط التبادل Termes de l'echange, Terms of trade هو رقم استدلالي Index, Indice الرقم الاستدلالي لاسعار الصادرات

= ―――――――――――――

الرقم الاستدلالي لاسعار الواردات

كلما ارتفع تحسنت الطاقة الشرائية للصادرات وكلما تدهورت هاته الطاقة انخفض

لم يتوصل "الحوار بين الشمال والجنوب بعد سنوات من الاخذ والرد الى نتيجة جدية ملموسة، كان الحوار حوار مغلقا "حوار الصم" حيث رفضت القوى المهيمنة عالميا اي تنازل وعارضت بشدة كل تغيير هيكلي يمس بمكونات النظام العالمي السائد [وخاصة علاقة التبادل اللامتكافئة] (20).

ان فشل بلدان العالم الثالث في الوصول الى تحقيق مكاسب ذات قيمة في مطالبتها الاصلاحية للنظام العالمي.

- ان هذا الفشل - برهن للكثير ان القضية ليست قضية حوار معقول وهادىء بل القضية في نتائجها تجسيم لميزان قوى. فالنفوذ الاقتصادي لا يمنح كهدية بل يكسب. والفشل في تحقيق هذا النظام الاقتصادي الجديد لا يرجع فقط الى تصلب وتعنت البلدان المصنعة المهيمنة بل كذلك الى تشتت بلدان العالم الثالث وعدم العمل دون تضارب المصالح بين من يصدر النفط ومن يصدر السلع المصنعة ومن لا يصدر سوى المواد الاولية. ان تراجع وتقهقر العمل التضامني المنبثق من فكر بندونق حالا دون

---

(20) كانت الدول المصنعة تركز اساسا على قضية الطاقة رافضة مبدأ تثبيت السعر الحقيقي والطاقة الشرائية الفعلية لبرميل النفط في حين كانت البلدان المصدرة للنفط تسعى الى الوصول الى تثبيت واستقرار السوق من ناحية الكم والقيمة حسب اسس تعاقدية تضمن مصالح المنتجين والمستهلكين.

الوصول الى تغيير النظام العالمي (21). فهذا الفشل قد تزامن في اواخر السبعينات مع تغييرات سلبية في المناخ العالمي أدخلت العالم الثالث في مرحلة جزر اصبحت فيها المديونية الخارجية ظاهرة خطيرة. ان التقلص النسبي لحركة التضامن في مستوى العالم الثالث ظاهرة تعكس التغييرات والفوارق التي حصلت في العقود الاخيرة خاصة في مجال التصنيع. حيث تمكنت بعض البلدان في جنوب آسيا كوريا الجنوبية - سنغبورة - طيوان - هون كونق Hong Kong, Taiwan, Singapour, Coree du Sud والى حد مليزيا Malaisie ، وفي امريكا الجنوبية البرازيل ومكسيك والارجنتين Bresil, Argentine, Mexique من تحقيق نمو صناعي سريع ارتقت به نسبيا في السلم الهرمي للتقسيم العالمي للعمل واصبحت تمثل في بعض المجالات الصناعية قوة تنافسية تهدد البلدان المصنعة المهيمنة. تسمى هاته البلدان الشبه مصنعة الجديدة Nouveaux pays semi industrialises, N.I.C.S ومن البلدان الاخرى التي اطلق عليها هذا الاسم نجد الجزائر - العراق - ايران وفينيزويلا التي وظفت جانبا من الريع النفطي في سبيل مشاريع تصنيعية مكنتها من الشروع في بناء قاعدة

(21) يجوز لنا القول ان من اسباب النتائج السلبية لحرب الخليج هو غياب التضامن العربي وبصفة اعم التضامن في مستوى بلدان عدم الانحياز والحال ان هناك تواصل بين التحديات العراقية ومطالب الجنوب من أجل نظام عالمي جديد - كما سنبينه فيما بعد .

صناعية وتكنولوجية .

في خلاصة الامر يمكن القول ان النظام الاقتصادي العالمي عرف - في مستوى بلدان العالم الثالث - تحولات هامة تمثلت اولا في تمكن البلدان المصدرة للنفط من فرض ميزان قوى جديد - لفترة زمنية على الاقل - غيّر بمقتضاه علاقة التبادل اللامتكافئة في مجال السعر الحقيقي للنفط ، ثانيا في تمكن بعض البلدان كما اوردناه من كسب طاقات تصنيعية وتكنولوجية نسبية احدثت بها بعض التعديلات في النمط السائد للتقسيم العالمي للعمل .

لكن اصبحت هاته "المكاسب" في منعرج الثمانينات مهددة، والاخفاق المسجل في مجال "الحوار بين الشمال والجنوب" لاصلاح النظام العالمي احدث تراجعا ملحوظا بالنسبة لدول العالم الثالث عامة من خلال العشرية الاخيرة .
ان الامال والطموحات التي علّقت خلال السبعينات على المطالبة بنظام اقتصادي عالمي جديد اكثر عدلا وقدرة على تحقيق التنمية في العالم الثالث ، تلك الآمال والطموحات قد احبطت خلال عقد الثمانينات حيث استطاعت القوى الاقتصادية المهيمنة عالميا من استعادة سيطرتها على النظام الاقتصادي العالمي وتحميل بلدان العالم الثالث العبء الثقيل للازمة الاقتصادية العالمية.نعم لم تتمكن البلدان النفطية على وجه الخصوص وهي التي لعبت الدور الرائد في الصراع من اجل النظام العالمي

الجديد (22) ، لم تتمكن هاته البلدان - من المحافظة على سيطرتها على اسواق النفط لمدة طويلة فبحلول 1982 بدأت الاسعار تميل نحو الانخفاض حتى انهارت سنة 1986 . وهذا التدهور ادّى الى تأزم الاوضاع الاقتصادية بصفة عميقة في بلدان العالم الثالث عموما . لقد اصبحت كل المؤشرات الاقتصادية تدل على تدهور عميق خاصة في شروط التبادل حيث انخفضت اسعارالمواد الاولية والمنتوجات النفطية بالنسبة لاسعار السلع المصنعة بصفة ملحوظة وافادت عدة دراسات ان اجمالي الخسارة الناتجة عن تدهور شروط التبادل تمثل ما بين 6٪ و10٪ من الناتج المحلي الخام بالنسبة لدول العالم الثالث (23). زد على ذلك النزيف المالي المتأتي عن آليات اقتصاد الدين حيث ان السعر الحقيقي للفائدة مثلا الذي كان يعادل صفرا سنة 1980 شرع في الارتفاع الى 2ر11٪ سنة 1982 مواصلا الى حد ما صعوده خلال العشرية الماضية، وهذا في حد ذاته يمثل نزيفا يتراوح بين 1٪ و2٪ سنويا من الناتج المحلي لبلدان العالم الثالث . اما الديون الخارجية (مع الضغوط القوية والصارمة لتسديدها) فأصبحت تمثل 125٪ من الناتج المحلي الاجمالي

---

(22) لنذكر خطاب الرئيس الجزائري بومدين باسم دول عدم الانحياز في الجمعية العامة للامم المتحدة مبينا طبيعة النظام العالمي الجائر المبني على عدم المساواة والاستغلال ومطالبا بشدة بضرورة تغيير هذا النظام .

(23) انظر Monde diplomatique Novembre 89 .

لبلدان العالم الثالث وبالتالي انعكس اتجاه التدفقات المالية واصبحت بلدان الجنوب "تمول بلدان الشمال ففي سنة 1989 مثلا انتقلت 9ر42 مليار دولار من الشمال الى الجنوب !! تدل كل هاته المعطيات السريعة على التراجع الكبير التي عرفته بلدان العالم الثالث في مجال التنمية. فصار الكثير يتحدث عن "العشرية المفقودة" التي حلت

تدهور اسعار بعض المواد الاولية بين 1980- 1988 (100 سنة 1980)

القطن——68

القهوة ——65

الكاوتشو —51

السكر ——35

الموز ——76

الاخشاب المدارية ——82

تدهور اسعار النفط (البرميل بالدولار)

1979	1986	1990
35	10	بين 13 و 19

!.ان سقوط السعر سنة 1986 الى 10 دولار ادّى الى نزيف يقدر ب 120 مليار دولار لصالح البلدان المصنعة .وخلال العشرية 90-1980 احدث هذا التدهور في اسعار النفط انخفاض في الدخل الفردي للبلدان النفطية ب 20٪ تقريبا. لو احتفظ برميل النفط سنة 1990 على طاقته الشرائية لكان سعره 60 دولارا

!.فيها مواصفات الصندوق الدولي والبنك العالمي [سياسات التكيف او التقويم الهيكلي Structural Ajustment policies, programmes d'ajustement structurel] محل استراتيجية التنمية. واصبحت "ضرورة التكيف" مع الاقتصاد العالمي الغاية والوسيلة !... وانحسر ما تبقي من "حوار بين الشمال والجنوب" حول سبل الحد من عبء المديونية ...بلا جدوى ملموسة لها وقع ايجابي حقيقي على مسيرة التنمية في العالم الثالث . ففي هذا الظرف التاريخي المتردي بالنسبة للعالم الثالث وفي غياب تحرك جديد وهادف الى تغيير اسس النظام العالمي اندلعت ازمة الخليج . لكن قبل الدخول في تحليل ابعاد الحرب بالنسبة للنظام العالمي السائد علينا ان نأخذ بعين الاعتبار تغييرا هاما حدث في السنوات القليلة الماضية وذو تأثير عميق في المسار التاريخي الحالي .

3 II) البيريسترويكا Perestroika وتفكك المعسكر الشرقي الاوروبي

نعم ان التحول القوي والسريع الى حد ما الذي حصل بالاتحاد السوفياتي واوروبا الشرقية يعد تغييرا اساسيا في مقومات النظام العالمي الذي ساد منذ معاهدة " يالطا " والذي انبنى كما بيناه على الاستقطاب الثنائي في المجال السياسي والعسكري . برز منذ منتصف الثمانينات تصور جديد بالاتحاد السوفياتي للعلاقات الدولية نعت بالفكر الديبلوماسي الجديد . قد اقر هذا الفكر الجديد بالقطع مع التصور الاستقطابي الثنائي السائد والتركيز على مفهوم الاعتماد المتبادل Interdependance,

interdependency العالمي الشامل الذي يجعل من الانسانية قاطبة مجموعة ذات مشاغل واهداف كبرى موحدة [حماية المحيط -الحفاظ على استمرارية الحياة البشرية المهددة بالدمار النووي الشامل..] .
فبالتالي تصبح الصراعات الطبقية في المستوى الدولي في مقام ثانوي . ان عالمية المجتمع البشري المعاصر تجعل من الاعتماد المتبادل عنصرا جوهريا ينبني عليه تصور وممارسة جديدين للعلاقات الدولية خاصة وان تعددية الاقطاب الاقتصادية حلت محل الاستقطاب الثنائي والهيمنة المطلقة.
فبالتالي يقر الفكر الديبلوماسي السوفياتي الجديد القطع مع المنطلقات الايديولوجية للعلاقات الدولية والعمل على خلق ودعم كل التحولات الايجابية التي تسير في اتجاه السلم والانفراج (24)، علاوة على هذا التصور وهذا الاسلوب الجديد الذي وضعا حدا للحرب "الباردة - السخنة" بين القطبين يجب الاشارة الى ان هذا التحول وليد أوضاع اقتصادية وسياسية داخل الاتحاد السوفياتي جعلت هذا الاخير يعيش تأزما حادا ادخله في مسار انحداري عميق .
ان الازمة "المجتمعية" الاقتصادية خاصة في الاتحاد السوفياتي [واروبا الشرقية عموما] هي في الحقيقة حبلى بوقائع وحالات متسمة بالتشوهات

(24) يركز غورباتشوف كثيرا على مفهوم الثقة المتبادلة مع ضرورة العمل من اجل دعمها في العلاقات الدولية . كما يؤكد على ايجاد كل الصيغ للمراقبة المتبادلة في مجال تدمير الاسلحة الفتاكة حتى الوصول الى عالم بدون سلاح نووي في نهاية هذا القرن .

والاختلالات البنيوية والهيكلية المتراكمة منذ عقود وقد برزت بدرجات متفاوتة حسب البلدان لتؤشر على تفاقم التناقضات والتشوهات الداخلية والخارجية ولكي تكشف عن الآثار التراكمية السلبية للمسار الاقتصادي والسياسي (25) . وتجلت هاته الازمة "المجتمعية" في ظل وضع عالمي سلبي خاص منذ السبعينات لتنم عن التشوهات الفاعلة وللاسراع في وتيرة التطورات القائمة .

ان حدة الازمـــة الداخليـة بكل ابعـادها جعـلت العلاقات الدولية للاتحاد السوفياتي خاضعة وموظفة للاوضاع الداخلية : " ان سياستنا الخارجية قد اصبحت اكثر من اي وقت مضى تحدد حسب مقتضيات السياسة الداخلية . يجب ان نركز على العمل من اجل البناء والتنمية .ومن أجل هذا نحن في حاجة اكيدة الى سلم قار والى توجهات (يمكن التنبوء بها) بناءة للعلاقات الدولية".(26)

ان هذا المعطى هام جدا لانه يبين لنا مدى تبوء الاوضاع الداخلية المتفجرة مكان الصدارة في الاتحاد السوفياتي ومدى حاجة هذا الاخير لتغييرات واصلاحات جوهرية وعميقة تفرض عليه نوعية

---

(25) ليس المجال متسعا هنا للدخول في تحليل معمق حول كل الاسباب الهيكلية لدخول " المعسكر الشرقي " في مرحلة ازمة عميقة وشاملة " حتمت " انتفاضات وتحولات قطعت بنسب متفاوتة الحدة مع النمط الاشتراكي السوفياتي .

(26) غورباتشوف - فيفري 1987 منتدى دولي حول السلم بموسكو .

مميزة من العلاقات مع البلدان الرأسمالية المصنعة تمكنه من الخروج في امد متوسط من الازمة "المجتمعية" التي يتخبط فيها.(27) والسؤال الهام المطروح هو الى اي حدّ سيكون لدخول الاتحاد السوفياتي (المعسكر الشرقي الاوربي عموما) في مرحلة الانحدار والانحطاط النسبي-من تأثير على امكانيّة احتفاظه بهامش مميّز من التحرك في مجال النظام العالمي ؟ اي مدى سيبلغه تفكّك المعسكر الاروبي الشرقي وسقوطه كقطب سياسي منافس ذو دور اساسي في الاستقرار النسبي للنظام العالمي [ولو في ظل Pax Americana] ؟ والى اي مدى احدث هذا الانهيار وسيحدث تراجعا كبيرا في علاقات الاتحاد السوفياتي مع بلدان العالم الثالث، تراجعا في الدعم العسكري والمالي للبلدان التي كانت حليفاتها؟

نعم من هذا المنظار تعدّ حرب الخليج اول اختبار يجعلنا نقدر الى حد ما من ادراك التقلص الكبير لدور الاتحاد السوفياتي كقوة مضادة contre poids يمكن لها التصدي ولو النسبي للمعسكر الاطلسي .

ان الصراعات داخل الاتحاد السوفياتي قوية ولازالت قائمة..بحيث لازالت الشكوك موجودة حول المسار المستقبلي للاتحاد السوفياتي ، هل الانحدارالسوفياتي نهائي ومطلق ؟ هل فقد الاتحاد السوفياتي نهائيا دوره كقوة عظمى ضروريه

---

(27) هذا لا يخص الاتحاد السوفياتي فقط بل كل اوروبا الشرقية والى حد ما الصين الشعبية .

للاستقرار والتوازن في المجال الدولي ؟ كل هاته التساؤلات تعبر في الحقيقة على ان النظام العالمي يمر بمنعرج تاريخي لم تستقر مقوّماته الاساسية بعد بصفة واضحة وبدون شكوك .

يمكن الحديث اذن عن مرحلة انتقالية Transition يتعايش ويتصارع فيها القديم والجديد. وبالتالي فان حرب الخليج حلقة ضمن سلسلة من الصراعات والتقلبات العنيفة الحالية والاتية في أمد متوسط من اجل ارساء قواعد واسس نظام عالمي جديد .

في الخلاصة يمكن لنا أن نستنتج ان حرب الخليج اندلعت في ظرف تاريخي دقيق متميز بعدم اليقين حيث اختلطت الاوراق حتى توزع من جديد حسب موازين قوى جديدة . لقد كانت حرب الخليج بمثابة العبوة التي فجرت جل التناقضات القائمة في هذا الظرف التاريخي الانتقالي ، فمثلت بالتالي نقطة الالتقاء Convergence العنيف بين تصورات وممارسات متضاربة يصبح فيها الرهان الاساسي الوحيد : النظام العالمي . فما هو المشروع الامريكي في هذا النطاق ؟ وما هو الهدف المنشود من تدمير العراق ؟ .

III) التصور الامريكي للنظام العالم" الجديد"

تبلور في السنوات القليلة الماضية تصور جديد حول النظام العالمي بالولايات المتحدة واصبح خلال سنة 1990 وخاصة بحلول ازمة الخليج من الخصائص المميزة للخطاب السياسي بالبيت الابيض .
يؤكد هذا الخطاب الدعائي على ضرورة قيام نظام عالمي جديد بعد نهاية الحرب الباردة منبني على "الحرية" و "السلم" في العلاقات الدولية ، وكررت القيادة الامريكية مرارا ان هذا النظام الجديد هو في حيز البناء وان حرب الخليج ستمكن من قطع شوط ايجابي ملموس في عملية ارساء اساس هذا النظام الجديد وهو مبدأ الحرية (28). لكن المحلل

(28) يجب الاشارة الى ان هذا المبدأ من ركائز الايديولوجية الليبيرالية التي تنبني عليها الرأسمالية العالمية وقد وظّف هذا المبدأ في العلاقات الدولية منذ عدة قرون لتمكين البلدان

اليقظ الذي يبحث عن خفايا الخطاب الدعائي يتمكّن من كشف النقاب عن التصور الحقيقي لمفهوم "النظام العالمي الجديد" عند القادة الامريكيين .
في الحقيقة ينطلق هذا التصور من وعي قوي بالتغييرات الحاصلة في النظام العالمي السائد، التغييرات التي ابرزناها والتي ادخلت العالم في منعرج تاريخي انتقالي لازال يسوده الشك وعدم الاستقرار.وبالنسبة للولايات المتحدة تغيرت المعطيات الدولية بتفكك المعسكر الاروبي الشرقي ونهاية الحرب الباردة وانكبت الاوساط القيادية في بلورة استراتيجية جديدة طويلة الامد تأخذ بعين الاعتبار كل التغيرات الحاصلة وترسم اسس السياسة الامريكية الدولية، الهادفة الى استغلال الظرف التاريخي المميز(29) لاسترجاع النفوذ وموقع الهيمنة في المجال الدولي .
لقد تركزت هاته الاستراتيجية الجديدة (30) على نقطة محورية اساسية وهي انه بنهاية الحرب الباردة والصراع الثنائي سيصبح العالم الثالث

القوية من تركيز ودعم سيطرتها وهيمنتها في كل المجالات .
واكد بوش مرارا عديدة في مداخلاته الدعائية ان على الولايات المتحدة ان تدافع على هذا المبدأ وان تلعب دورا قياديا في هذا المجال مع ضرورة توزيع العبيء على الحلفاء المؤمنين بهذا المبدأ .

(29) علينا ان نشير الى شيء هام في هذا المجال . حيث انّه بالنسبة للقادة بالولايات المتحدة تعد حالة الشك وعدم الاستقرار حالة خطيرة جدا مما جعل بوش يصرّح ان العدو بعد

مسرح النزاع او الحرب [المتوسطة الشدة] بالنسبة للولايات المتحدة ، يعني ذلك ان الخطر الاكثر تهديدا للولايات المتحدة سيأتي مستقبلا من بلدان العالم الثالث تلك البلدان التي اصبحت بمقتضى موقعها الجغرافي الاستراتيجي او سيطرتها على موارد حيوية قادرة على الاخلال (او زعزعة) مصالح ومكاسب الولايات المتحدة الكبرى ،وبالتالي اضعاف نفوذها وهيمنتها العالمية .بحيث ان الصراعات المستقبلية وان كانت اقل خطورة [حروب متوسطة او ضعيفة الشدة حسب المصطلح الامريكي] بالنسبة للصراعات التي كانت متوقعة مع الاتحاد السوفياتي سابقا، فانها تمثل مصدرا لعدم الاستقرار مهددا للامن الامريكي Pax Americana . ومن هنا صممت استراتيجية ما يسمى بالردع الانتقائي Discriminate Deterrance, Dissuasion Selective يعني تركيز الجهود العسكري على التصدي مسبقا ان أمكن ومباشرة لردع وبصفة انتقائية كل قوة احتمالية Potentielle صاعدة في العالم الثالث تمثل خطرا مهددا للامن

نهاية الحرب الباردة اصبح الشك Incertitude . وهذا احدث زعزعة وارتباكا تولد عنهما الى حدّ ما التصميم "الجنوني" على تدمير العراق .

(30) انظر التقرير المشهور للجنة الامريكية حول الاستراتيجية الطويلة المدى [جانفي 1988] والتي بلورت مفهوم الردع الانتقائي - وقد شارك في هاته اللجنة Brezerniski Kissinger.....

الامريكي.وفي هذا الاطار ركزت الاستراتيجية الجديدة على تحويل مرابيح "اسهم السلم" Dividendes de la paix الناتجة عن نهاية الحرب الباردة الى تغطية تكلفة الرسكلة Recyclage, Recycling الجديدة من اجل انشاء عتاد حربي وقوة تدخل عسكرية تتناسب مع متطلبات الردع الانتقائي في الحروب المتوسطة الشدة مع بلدان من العالم الثالث . بحيث وظفت الامكانات التي نتجت عن نهاية الحرب الباردة ، في مواصلة المجهود العسكري بطرق جديدة وفي دعم المركب الصناعي العسكري الذي كما بيناه يلعب دورا طلائعيا في تحريك الجهاز الاقتصادي.لهذا يصح لنا ان نعتبر هاته الاستراتيجية الركيزة العسكرية الضرورية والاساسية في عملية بناء هذا النظام العالمي "الجديد" وبالتالي فان حرب الخليج هي بمثابة اول اختبار عملي لها .

يجب هنا التذكير ان"اختيار"العراق في هذا الاختبار قد شرع في التصميم له منذ نهاية الحرب الايرانية - العراقية . ففي المجال الاقتصادي وفي سياق ما يسمى بالصدمة المضادة في سوق النفط والتي هبط بمقتضاها سعر البرميل سنة 1986 الى 10 دولارات، عمدت القوى الاقتصادية المهيمنة عالميا وبواسطة الاقطار الخليجية [الامارات والكويت خاصة] على "شنّ حرب" نفطية ضد العراق وذلك بعدم الامتثال المتعمّد الى حصص الانتاج المخصصة لها في نطاق الاوبيك OPEC مغرقة السوق النفطية بفائض يهدف اساسا الى الحفاظ على اسعار منخفضة لها انعكاسات سلبية وخطيرة جدا

بالنسبة للعراق (31) وخاصة بعد الهشاشة الاقتصادية التي خلفتها الحرب ضد ايران.وفي المجال الدعائي السياسي لا ننسى كيف عبئت كل الطاقات الاعلامية الغربية طوال الاشهر السابقة لاندلاع الازمة لاظهار العراق في موقع البلد المهدّد للامن الاقليمي والامن الدولي بامتلاكه لطاقات التدمير الشامل . لا حاجة هنا في الدخول في كل التفاصيل المتصلة بهذا الامر لانها كشفت وصارت معروفة لدى الجميع.المهم بالنسبة لنا هو أن التصميم على تدمير العراق يندرج في اطار هاته الاستراتيجية الجديدة "للردع الانتقائي" التي هي الركن القاعدي الاساسي للنظام العالمي "الجديد" من المنظور الامريكي (32).لكن السؤال الهام الذي علينا ان نطرحه الآن هو التالي : كيف يمكن للولايات المتحدة

---

(31) الفرق بين العراق والكويت مثلا في هذا المجال هو أن لهذا الاخير امكانات للمرونة والتكيف السريع في نطاق الانتاج كلما آلت الاسعار الى الهبوط في حين ان هذا صعب او مستحيل بالنسبة للعراق فقضية هبوط السعر حيوية جدا وضرورة تعديله حتمي.

(32) سوف نبين في آخر نقطة ان التحديات العراقية التي تهدف في مضمونها الى تغيير جذري للاوضاع الاقليمية والدولية الراهنة والتي تمثلت في شكلها في اجتياح الكويت ، ان هاته التحديات قد عجلت بالعدوان المبيّت ضد العراق وبان واضحا للجميع ان الهدف الاساسي هو ضرب العراق ضربة قاضية حتى تكون درسا لمن قد يجرؤ على الاخلال بال Pax Americana.

ان تستغل هذا الظرف التاريخي في محاولة لاسترجاع موقع الهيمنة وهي تعيش كما بيناه مسارا انحداريا هيكليا علاوة على الانكماش الاقتصادي المتصاعد خلال السنوات الاخيرة؟ هل يمكن لها أن تحقق من جديد شروط المعادلة الصعبة التي تحدثنا عنها تلك المعادلة المتعلقة بتكلفة الهيمنة، بعبارة اخرى الى أي مدى تسطيع الولايات المتحدة - اقتصاديا - تحمل عبء تورط حربي كبير؟ الاجابة هي ان هامش التحرك ضيق وكان لا بد للولايات المتحدة ان تجد منفذا يؤمن لها هامشا اوسع لشن الحرب.وهذا المخرج الذي مكّن - الى حد ما - الولايات المتحدة من تفادي مأزق المعادلة التي اصبحت شبه مستحيلة - هذا المخرج - تمحور على عنصرين هامين شكّلا في الحقيقة الشروط الضرورية والكافية لتحقيق مخطط الردع الانتقائي.

اولا : توزيع تكاليف المجهود العسكري على الحلفاء في المستوى الاقليمي [البلدان الخليجية] والاطلسي وهذا الشرط بمثابة ضرب عصفورين بحجرة واحدة حيث انه يتم تشريك الحلفاء في تحمّل العبء المالي خاصة مع اقرار ضمني متجدد بالدور القيادي المهيمن للولايات المتحدة وهذا الاخير معطى هام بالنسبة لرهان الحرب.(33)

(33) يمكن ان نتحدث عن مبدأ : التشريك في التكاليف

Socialisation des couts, Cost socialisation

والانفرادية في المرابيح

Individualisation des gains, gain individualization

ثانيا : اعطاء غطاء "قانوني" لتطبيق استراتيجية الردع الانتقائي وذلك بتوظيف منظمة الامم المتحدة توظيفا مطلقا يعدّ ظاهرة فريدة من نوعها في عصرنا الحديث. لا فائدة في الاطالة حول هاته النقطة حيث ان البراهين والحجج التي تبيّن بجلاء كيف فقدت المنظمة الاممية كل مصداقية وشرعية في معالجة النزاعات الدولية، كل هاته الادلة معروفة لدى الجميع. نعم لقد تمكنت الولايات المتحدة من احتواء المنظمة واستعمالها كجهاز تنفيذ لمفهومها للنظام العالمي خاصة وانها توصلت الى تحييد الاتحاد السوفياتي والصين الشعبية مع الاشارة الى غياب بلدان عدم الانحياز التي تعيش كما بيناه مرحلة جزر وتراجع خطيرين ففي خلاصة الامر يجب ان نركز على ان تحقيق هاذين الشرطين [توزيع (او تشريك) العبء على الحلفاء وتوظيف منظمة الامم المتحدة] كانا من باب الضروريات الاساسية بالنسبة للولايات المتحدة لتخوض هذا الاختبار الاول الذي يمكنها من تسجيل نقاط لصالحها في الصراع الدولي من أجل بناء نظام عالمي جديد خلال هذا المنعرج التاريخي . ذلك هو الرهان بالنسبة للولايات المتحدة في هاته الحرب الخليجية . اما بالنسبة للعراق، فان التحديات التي رفعها تشكل في مضمونها الاساسي عملا مضادا يهدف الى تغيير موازين القوى من اجل نظام عالمي مغاير وجديد بالمعنى الصحيح .

IV التحديات العراقية : نحو نظام عالمي بديل

قبل الخوض في مضمون التصدي العراقي يجب ان نؤكد على عنصر هام مكوّن للنظام العالمي السائد (34). هذا العنصر يتمثل في الهيكل الهرمي للنظام العالمي الذي يعكس موازين القوى في مجال النفوذ والسيطرة والهيمنة [اقتصاديا، سياسيا، عسكريا] الدولية. ان الهيمنة الامريكية في المستوى الدولي تنبني على محطات [وسائط] Relais, Relays (35) اقليمية وشبكة من التحالفات الاقليمية لا يمكن بدونها تحقيق وتأمين تلك الهيمنة . فالامن الامريكي

---

(34) انظر الفصلين 1 و2 .

(35) نتحدث هنا عن Relais subimperialistes, subimperialist relays.

على نطاق عالمي يحتّم بالتالي Pax Americana بالضرورة وجود هاته المحطات [الوسائط] والتحالفات خاصة في المناطق الحيوية والاستراتيجية من وجهة نظر المصالح الكبرى للولايات المتحدة. وهو الامر المتأكد فيما يخص المشرق العربي. بحيث سنرى ان التحديات العراقية استهدفت لا فقط النظام العالمي ككل بل وفي نفس الوقت المقوّمات الاقليمية لهذا النظام مع الاشارة والتأكيد على مدى ترابط وتشابك الابعاد الاقليمية والابعاد العالمية .

لقد توصّلنا من خلال توضيح الاشكاليات المطروحة الى الوقوف على تحديات كبرى اربع رفعها العراق خلال "المنازلة" لزعزعة النظام السائد عالميا واقليميا .

1) اول تحدي بارز تأتى من عملية اجتياح الكويت في اوت 1990 (36) يتمثل في ابراز "اصطناعية" الخريطة الجغرافية للشرق الادنى والهشاشة التاريخية للتقسيم الترابي الاستعماري لاقطار المنطقة. لا فائدة في الاطالة هنا لنبين لكل محلل موضوعي مطلع على التاريخ القريب للمنطقة ان من الاسباب الرئيسية لعدم استقرار المشرق

(36) لا ننسى ان عملية الاجتياح للكويت قد تمت بعد فشل المساعي الرامية لتطويق الخلاف . وبالنسبة للعراق علاوة على القضايا النفطية والمالية التي سنركز عليها فيما بعد كانت المطالبة تخص اساسا الاستغلال المشترك لابار رميلة والتمكن من السيطرة على (او التصرف على طريق الكراء لمدة 99 سنة) على جزيرتي وربه وبوبيان المطلتان على الخليج .

العربي هو ذلك التقسيم الاستعماري الناتج عن تفكيك الامبراطورية العثمانية . فعلى سبيل المثال لا شك ان ضبط الحدود بين العراق والكويت في العشرينات من طرف الاستعمار البريطاني تم حسب مقاييس وحسابات تخضع الى المصالح والمطامع الامبريالية الانية و "المستقبلية"... فكيف لا يتساءل كل متبصر لماذا منع العراق من منفذ بحري مطل على الخليج؟ ان المطالب العراقية في خصوص الكويت ليست وليدة "جنونية" آنية وفجئية لاشباع مطامع توسعية عديمة الاسس الموضوعية التاريخية بل متأتية من تراكم اوضاع تاريخية موروثة لعبت فيها القوى الاستعمارية الدور السلبي الاساسي للحيلولة دون استقرار المنطقة العربية وللعمل على خلق ودعم كل عوامل التجزئة المغذية للخلافات وللصراعات الاقليمية . اين يكمن التحدّي العراقي اذن ؟ .

يكمن التحدّي في رفض العراق قبول المبدأ السائد في النظام الدولي والذي يقرّ بعدم تغيير الموروث الاستعماري في رسم الخرائط الجغرافية السياسية لبلدان العالم الثالث المستقلة. لكن السؤال المطروح هو هل هناك مبدأ مطلق وثابت دائما خاصة اذا اصبح العمل به بصفة آلية وفي كل الحالات مصدرا اساسيا لعدم الاستقرار وللاخلال الدائم والمستمر بالسلم المبني على نسبة مرضية من العدالة .

من هذا المنظار اعتبرنا ولازلنا نعتبر ان اجتياح الكويت [وان توفرت فيه عناصر الشرعية التاريخية] ليست غاية في حد ذاته بل وسيلة فرضتها تسلسل الاحداث والاوضاع الراهنة لطرح

قضية الموروث الاستعماري في رسم الحدود بين اقطار كل منطقة الشرق الاوسط حتى تزال كثير من الاوضاع "الشاذة" التي خلقت ولازالت تخلق ارضية البركان المشتعل في المنطقة .(37)
بطبيعة الحال عندما رفع هذا التحدي بشكل عنيف (اجتياح الكويت) كان المراد خلق ميزان قوي جديد يهدف الى طرح كل النزاعات الترابية الاقليمية من أجل تسوية شاملة وعادلة. لا ننسى ان العراق قد اقترح منذ بداية الازمة عقد مؤتمر دولي يتطرق لكل النزاعات القائمة [بما فيها العراقي – الكويتي]، وبالتالي فان اجتياح الكويت ليس حل الازمة بل تعبير عنها وهو وسيلة ضغط ومصدر قوة تفاوضية في المجال الدولي لطرح وحلّ كل النزاعات الاقليمية. كما ان اجتياح الكويت مثّل تحدي بالنسبة للخريطة الجغرافية السياسية الموروثة عن العهد الاستعماري كما انه يعيد تسليط الاضواء على ظاهرة مميّزة للنظام الدولي والنظام الاقليمي وهي اللامساواة والحيز المفرط في توزيع الثروات والمداخيل .

(37) نحن لا نناقش هنا الموقف السياسي الذي يقر ان ضم الكويت الى العراق [حتى وان اعتمد على عناصر شرعية من الناحية التاريخية] يعد خطوة في طريق الوحدة العربية . ان هذا الموقف يعتمد على مفهوم للمسار الوحدوي العربي لا نقبله مهما كانت الاعتبارات . نؤكد من جديد ان في نظرنا عملية الاجتياح كانت وسيلة [ربما خاطئة] تهدف الى اعادة النظر في نطاق دولي الى كل المعطيات الجغرافية السياسية للمنطقة ككل بقصد احلال سلم واستقرار حقيقيين .

2) اما التحدي الثاني الذي رفعه العراق فهو يكمن في اعادة النظر ومراجعة الهياكل والآليات الدولية التي تعمل بصفة دائمة ومستمرة على توزيع المداخيل والثروات بصفة غير عادلة، تمييزية وجائرة بين الاقطار. لو عدنا بصفة خاطفة لظاهرة اللاتكافيء واللامساواة في النظام العالمي لبرزت لنا من جديد تلك الارقام المعبّرة عن واقع دولي مخز.

حيث انه في الثمانينات مثلا تمثل بلدان العالم الثالث (بما فيها الصين الشعبية) تقريبا ثلاثة ارباع 3 / 4 السكان ولا تتمتع سوى بخمس الدخل العالمي 1 / 5 في حين ان البلدان الرأسمالية المصنّعة تمثل خمس السكان 1 / 5 وتتمتع ب ثلثي 2 / 3 الدخل العالمي. ان الدول الصناعية الخمسة الكبرى (عشر السكان) لها اكثر من نصف الدخل العالمي !....

كيف نتحدث عن واقع دولي مخز والحال ان العالم العربي يعيش فوارق داخلية قطرية تزداد حدة وتنمي وتعمق الانقسام بين اقطار نفطية غنية محدودة السكان واقطار فقيرة ذات ثقل سكاني كبير .

ان الطفرة النفطية هي من الاسباب الاساسية التي سارعت في زيادة حدة الفروق... ففي العشرية 70 – 80 تضاعفت نسبة البلدان النفطية الغنية [الاقطار الخليجية–العربية السعودية من الدخل العربي–فهي التي تمثل 10٪ من السكان العرب اصبحت تتمتع بأكثر من نصف الدخل العربي بمعدل دخل فردي يفوق 6000 دولار–في حين ان 70٪ من سكان المنطقة العربية [كل الاقطار العربية

الاخرى باستثناء الجزائر والعراق] تقلصت حصتها بنسبة 100٪ فأصبحت نصف ما كانت عليه تقريبا 25٪ من الدخل العربي [اكثر من 50٪ في اوائل السبعينات] مع معدل دخل فردي يتراوح بين 500 و1200 دولار تقريبا...لو قارنا الدخل الفردي المتوسط في الكويت اليوم [قبل الحرب] (بين 000 13 و000 14 دولار) بالدخل المماثل في اليمن مثلا (تقريبا 500 دولار) لبرز فارق هائل وفظيع من واحد الى 27 ! 1 / 27 ! اما المقارنة بين الامارات (16000 دولار) والصومال (170 دولار) فهي بنسبة قريبة من واحد الى 100 !1 / 100 هاته الارقام دالة في حد ذاتها على فظاعة الفوارق الداخلية الراهنة ولو اضفنا لها ان في سنة 1990 تجاوزت الديون العربية 200 مليار دولارا في حين كانت البلدان النفطية الخليجية تتمتع في نفس الوقت بفائض مالي مودوع بالبنوك الغربية يساوي 462 مليار دولار اي بعبارة اخرى 10٪ من العرب تتمتع بفائض 462 مليار دولار و90٪ من العرب يعانون من عبء ديون 200 مليار دولار تمثل اكثر من نصف الانتاج المحلي. اما الاستثمارات للبلدان النفطية الغنية في البلدان العربية الاخرى فهي لا تمثل الا نسبة ضئيلة 7٪ من مجمل الاستثمارات الخارجية (38)...

اما الكويت فقد قدّرت ممتلكاته واستثماراته الخارجية ب 120 مليار دولار في حين ان العراق كانت تقدر ديونه ب 70 مليار دولار وهذا المعطى الاخير مؤشر هام يفسر الى حد ما حدة الفوارق

(38) انظر Monde Diplomatique شهر سبتمبر 1990 .

الداخلية التي تفاقمت فأحدثت تصدّعا ادّى الى نزاع عسكري مريع رهانه توزيع الثروات والمداخيل بصفة اقل جورا .

3) **اما التحدي الثالث** بالنسبة للعراق والذي يمثل الرهان الاقتصادي الاساسي فيخص النفط ويستهدف بالتحديد مبدأ اللاتكافيء في التبادل الدولي كما بيناه سلفا ويركز على خلق ميزان قوى جديد للتصدي لما تسمى بالصدمة المضادة لسنة 1986. لن نطيل التحليل حيث قد تناولنا في فصل سابق كل البعد الاقتصادي لحرب الخليج، نكتفي فقط ببعض المعطيات المنسجمة مع الاشكالية المطروحة هنا والمركزة على النظام العالمي...

فلا فائدة في التذكير ان الاقطار النفطية لم تستطع الاحتفاظ بسيطرتها على اسواق النفط لمدة طويلة . ففي منعرج الثمانينات كما اوردناه سابقا مالت اسعار النفط الى الانخفاض حتى وقوع الانهيار سنة 1986 الامر الذي زاد في شدة وتعمق الازمة الاقتصادية في البلدان النفطية وغير النفطية .

فكيف ولماذا احدثت عملية اجتياح الكويت رجة قوية ومثلت بالتالي تحديا للبلدان المصنعة ؟ لنعيد للاذهان بعض المعطيات التي ربما نوردها مجدّدا : يمثل العراق 9ر9٪ من الاحتياطي العالمي في مجال النفط [الانتاج 140 مليون طن] والكويت 4ر9٪ من هذا الاحتياطي [الانتاج 95 مليون طن]. ففي حدود ال 10 او 15 سنة المقبلة [في حالة عدم اكتشافات هامة اخرى] سوف تمثل المجموعة عراق + كويت ما يقارب خمس الانتاج العالمي وربع الاحتياطي العالمي

(39)، بحيث تتمكن هاته المجموعة من قوة تفاوضية Barganing power, pouvoir de negociation ذات وزن من شأنه ان يمس بشكل هام بمبدأ اللاتكافيء في مجال النظام الاقتصادي العالمي ، ذلك المبدأ الاساسي الذي تحدثنا عنه سابقا. زد على هذا ان الدراسات المختصة اثبتت ان في ال 16 سنة الماضية 83٪ من الاكتشافات الجديدة في مجال النفط حصلت بالمشرق العربي بحيث انه رغم كل المساعي الغربية للتقليص من دور المشرق العربي في مجال النفط يبقى هذا الاخير المصدر الاساسي العالمي (40)، مع الاضافة الى انه وخلافا لما يظنه الكثير فان نسبة الولايات المتحدة في تغطية الاستهلاك النفطي من الخارج في تصاعد مطرد ووصلت هاته النسبة الى 45٪ سنة 1983. بحيث يبدو جليا ان الوزن الدولي الحيوي للمشرق العربي زاد اهمية مما يجعلنا نفهم درجة الحساسية المفرطة للولايات المتحدة وللبلدان المهيمنة في النظام العالمي لهذا المعطى الذي لا يقبل اي اخذ ورد.. وكما قد اوردنا سابقا ان التاريخ المعاصر يثبت ان اية محاولة للاخلال بهذا المبدأ تقابل بالردع العنيف . فالحرب التدميرية ضد العراق حلقة تاريخية اخرى في هذا الصراع الدائم المستهدف لاهم مقومات النظام العالمي من الناحية

(39) لو اضفنا الاقطار الخليجية والسعودية نصل الى 85٪ من الاحتياطي العالمي ! وتمثل العربية السعودية ثلث هذا الاحتياطي العالمي ! (34٪) .

(40) يتوقع ان ينفذ النفط الموجود بالبحر الشمالي [شمال بريطانيا] في حدود 13 سنة تقريبا .

الاقتصادية.

4) **التحدّي الرابع** : امّــا التحدّي الرابع الذي يطرحه العراق، فهو متّصل بمستوى اقليمي مرتبط بدوره بمستوى دولي . ويتركّز هذا التحدّي بالاساس، في ارادة تغيير الاوضاع الراهنة للنظام الاقليمي، وذلك عبر محورين رئيسيين :

أ) الصراع العربي - الصهيوني :

انّ موقع الكيان الصهيوني ، كمحطة امبريالية ، ادّى الى تفاقم دوره الهيمني على المنطقة بالنيابة عن الولايات المتحدة الامريكية . وقد تعزّزت هذه الهيمنة في مستويات متعدّدة .

- **عسكرياً** : من خلال احتلال الكيان الصهيوني للمرتبة السادسة عالميا كقوة نووية ، ومن خلال شلّ حركة جيوش الدول العربية ، وما وفّره له كل ذلك من استفراد بالمقاومة الفلسطينية المسلّحة وصولا الى ضرب بناها التحتية واخراجها من لبنان سنة 1982 .

- سياسيا : من خلال شق الصفّ العربي وكسب الاعتراف التاريخي المعلن والرسمي لاول مرة، وتحييد مصر كقوة أقليمية محورية واستبعادها من دائرة الصراع عبر اتفاقيات كامب دافيد "للسلام".

واذا أضيف لما تقدّم معطى" الحماية" الذي يحظى به الكيان الصهيوني بصورة مستمّرة وثابتة من خلال "حق النقض" المتوفر للولايات المتحدة الامريكية داخل مجلس الامن ، - فان كل ذلك يلقي الاضواء على خلفيّات تفاقم الهيمنة الصهيونية و"اطلاق يدها" في المنطقة، التي بلغت في العقد المنقضي، حدود العربدة المتحدّية بصورة سافرة

ومتواصلة لكل قرارات الامم المتحدة (ضم الجولان / محاصرة بيروت واحتلال جنوب لبنان / قصف المفاعل النووي العراقي / قصف حمام الشط تونس...) .

لقد انتهى عقد الثمانينات الى اختلال خطير لميزان القوى عسكريا وسياسيا لصالح الكيان الصهيوني . ثمّ انضاف لذلك عنصر جديد رجّح كفة هذا الاختلال وهو نهاية الحرب الباردة واقرار القيادة السوفياتية لمبدإ الهجرة الذي ادّى الى تدفّق مئات الآلاف من اليهود الى فلسطين المحتلة . وزيادة على ما يشكله هذا العنصر الجديد من اخلال خطير - على مستوى مباشر وبعيد المدى - بالتوازن الديمغرافي ، فانه طرح مجددا - ولكن بصورة عمليّة - شبح مشروع "اسرائيل الكبرى من النيل الى الفرات".

امّا في الطرف المقابل ، وفيما يتعلق بجوهر الصراع العربي / الصهيوني: اي القضية الفلسطينية ، فانّ حلّها لم يتقدّم قيد انملة. بل انها انزلقت في السنوات الاخيرة في مأزق غير واضح الافق . فالانتفاضة المتواصلة منذ سنوات لم تؤدّ الى نتائج سياسية ملموسة. وهي مصطدمة، رغم التضحيات اليومية، بباب مغلق. وذلك في غياب الدعم العربي لها (السياسي/العسكري/المالي..) من ناحية، وفي مواجهة مع التعنت الصهيوني القطعي، والتلاعب الامريكي في مفاوضاته مع منظمة التحرير، رغم كل التنازلات الفلسطينية، من ناحية اخرى .

ان التحدّي العراقي المتنزّل في هذا الاطار المحدّد

متمثّل بالاساس في ان العراق اصبح يشكّل قوة ردع فعلية موازية للكيان الصهيوني، اي الى خلق ميزان قوى جديد في المنطقة. واذا كانت اولى النتائج المباشرة الخطيرة على حساب الصهاينة - لهذا الوضع الجديد ، هي ايقاف عمليّة تدفّق المهاجرين اليهود وعرقلة مشاريع الاستيطان، فانّ نتائجها الاكثر خطورة - بالنسبة للصهاينة - متمثّلة في ان التحدّي العراقي يعني قبل كل شيء، طرح قضية تحرير فلسطين وفرض السلم من موقع قوّة .

ب) العلاقات العربية/العربية :

منذ بداية العقدين الاخيرين، برزت بوادر هيمنة الاقطار النفطية على مجمل العلاقات العربية/ العربية. وقد تعاظم دور وتأثير العربية السعودية في تحديد هذه العلاقات الى درجة تمكّننا من وصف المرحلة المنقضية بأنها مرحلة العهد السعودي. ولعل اهم سمات هذه المرحلة هو تأسّسها على اتفاق ضمني في العلاقات العربية/ العربية تضمنه ركيزتان اساسيتان :

- توزيع الريع النفطي بهدف الحد من التوترات الاجتماعية والسياسية في الداخل .
- تمويل المجهود الحربي (العراقي ضدّ ايران، السوري في لبنان..) مقابل تحقيق عدم الاخلال باستقرار الانظمة في البلدان النفطية وضمان الهيمنة السعودية .

بيد ان ازمة منتصف الثمانينيات الناتجة عن الصدمة النفطية المضادّة ، ادّت الى تقلّص الطاقات التوزيعية الريعية. وقد توافق ذلك مع تفاقم المديونية وتواتر الاضطرابات الاجتماعية

والسياسية في البلدان العربية. ثم انتهى كل ذلك الى بروز اختلافات ونزاعات عربية/عربية ، وضعت قسمها المتمثّل في البلدان النفطية الغنيّة، في موقع مضادّ للبلدان العربية الاخرى من خلال السياسات النفطية المتّبعة (الاسعار، الانتاج، التسويق ...).وقد اوكل لمصر المكبّلة باتفاقيات كامب دافيد - انطلاقا من وزنها الاقليمي المحوري، ومن تحالفها الاساسي مع الولايات المتحدة الامريكية- اوكل لها الاضطلاع بدور هامّ في مرحلة العهد السعودي هذه. وذلك بدعم الهيمنة السعودية القائمة، والعمل على تمرير حلول استسلامية للصراع العربي/ الصهيوني وجوهره القضية الفلسطينية ، وذلك اعتمادا على المعادلة المعروفة القائلة بأنّ "توثيق" علاقات " الصداقة "العربية/ الامريكية، كفيل لوحده بدفع الولايات المتحدة "للضغط" على "اسرائيل" وهو ما سيؤدّي الى "حلّ" القضية الفلسطينية .

والتحدّي المضاعف ، المندرج في هذا الاطار، الذي رفعه العراق ، هو بالضبط ارادة وضع حدّ للهيمنة السعودية والوقوف ضدّ الاستراتيجيا المصرية المنبنية على التحالف العضوي مع الولايات المتحدة الامريكية .

ولا يخفى ان مضاعفات هذا التحدي العراقي، هي فرض ميزان قوى جديد في العلاقات العربية/ العربية، يقلّص من هيمنة الانظمة المحافظة المتحالفة مع الولايات المتحدة الامريكية ، وكذلك في طرح قضايا حيوية : الامن القومي الصناعي (نقل التكنولوجيا وتطوريها / التصنيع والبناء الذاتي

المندمج ..)، الاستقلال الاقتصادي والتنمية (تصفية المديونية/سياسة نفطية موحّدة/توزيع عادل للريع النفطي..)، الامن القومي الغذائي والمائي والزراعي (الفرات مع تركيا / النيل مع اثيوبيا / الاردن والليطاني مع اسرائيل / مشروع السودان الزراعي...)، وذلك بالاضافة الى قضية الامن القومي العسكري (توحيد وحماية المجهود والتصنيع الحربيّين / القواعد العسكرية الاجنبية ....) .
هاته اذن التحديات الكبرى التي رفعها العراق، هي تحديات في منتهى الاهمية والطموح. ذات ابعاد عميقة ودقيقة ومغازي متعددة ومركبة ، هي تطرح في مضمونها امهات المسائل المتعلقة بالاوضاع الراهنة دوليا واقليميا ، لا شك وان الرهان الاساسي من وراءها هو بالذات النظام العالمي وتحتيته الاقليمية .
وهنا يبرز الاشكال الحساس الخطير بعد التحديد والتعريف والوعي الحاد بالاهمية المطلقة لهذا الرهان في هذا المنعرج التاريخي : هل كان للعراق [او لاي بلد ينتمي الى الجنوب] من القدرات والطاقات الذاتية ليتحمل بمفرده العبء وكل العبء الثقيل الذي يحتمه الرهان ؟ هل من الهيّن ان ترفع تلك التحديات امام القوى العظمى المهيمنة دوليا ؟ هل يعدّ صمود العراق قرابة الشهرين امام اعظم وابطش قوة تدميرية متحالفة ، هل يعد هذا الصمود حدثا تافها وهامشيا ؟ سيجيب التاريخ في المدى المتوسط والبعيد .لكن على المحلل المتبصر ان يظهر الخفايا والمضامين المستقرة وراء الحرب .
نعم قد دمّر العراق والحقت به اضرار جسيمة

ستضعفه وتعزله نسبيا لسنوات .نعم لم يتوصل العراق الى خلق موازين قوة في المستوى الاقليمي والدولي لصالحه ، لا بد ان اخطاء متولدة عن سوء التقدير قد ارتكبت وعلى قادة العراق مسؤولية النقد الذاتي للتقييم ولتحديد المسؤوليات .

نعم قد تمكنت الولايات المتحدة وحلفائها في هاته الحلقة الاولى من الصراع الدولي من اجل النظام العالمي الجديد من تحقيق نقاط في المجال العسكري قد يؤهلها الى كسب جانب من الرهان . انه من الصعب الادلاء الآن ولم تمر سوى اشهر على انتهاء الحرب باستنتاجات مقبولة وتكهنات صحيحة. حيث ان المكسب الحاصل عسكريا لا يضمن ولا يؤمن بالضرورة تحقيق اسس جديدة لنظام اقليمي دولي مبني على الاستقرار والامن . حيث ان احتمال عدم الوصول الى حل التناقضات والنزاعات الاقليمية (والدولية) التي كانت عملية اجتياح الكويت بمثابة الكاشف والحافز

Revalator and catalysor, revelateur et catalyseur لها على اسس عادلة وثابتة تحول دون تحقيق اي خطوة معتبرة في بناء هذا النظام الجديد . وبالتالي يبقى الرهان قائما حتى بعد نهاية الحرب وتدمير العراق وتمكّن الولايات المتحدة من اجتياز اول اختبار لاستراتيجتها الجديدة [الرع الانتقائي] التي هي بمثابة الركيزة الاولى لهذا النظام الجديد .

ان حرب الخليج قد جمّعت وفجّرت كل التناقضات الاساسية للمجتمع الدولي وخاصة منها تلك التي تخص العلاقات بين الشمال والجنوب . قد اظهرت في نفس الوقت التغيرات الحاصلة في النظام

العالمي ومن أهمها :
- اصرار الولايات المتحدة على استرجاع هيمنتها المتقلصة على حساب الحلفاء والامم المتحدة.
- فقدان الاتحاد السوفياتي دوره كقوة عظمى موازية تضمن الاستقرار النسبي دوليا .
- تهميش بلدان العالم الثالث وغيابهم على الساحة الدولية في مستوى القرار السياسي .
لكن كما كررناه مرارا سيعيش المجتمع الدولي لمدة (ربما عشرات السنين) مرحلة انتقالية تكون مسرح صراعات متنوعة الشكل ولكنها تهدف كلها الى ارساء قواعد ثابتة واسس جديدة للنظام العالمي ... ويبقى السؤال : ماذا سيكون مصير العرب ومصير شعوب العالم الثالث فيه ؟ .

الخاتمة

خرج العراق من حرب مع ايران مدتها أكثر من ثماني سنوات ودخل في حرب جديدة باحتلاله الكويت ، فقد استخدمت قوى التحالف ما لديها من قدرات عسكرية لتدمير بنية العراق الاقتصادية وقواته العسكرية اضافة الى تأليب العالم ضد العراق بحيث تمكنت الولايات المتحدة الامريكية من اخذ قرارات من مجلس الامن لتنفيذ سياستها ضد العراق .

وحصل ما حصل وأرغم العراق على سحب قواته من الكويت ، ودمرت معظم امكانياته العسكرية وقبل قرارات مجلس الأمن بكاملها بل ودخلت قوات التحالف أرض العراق وعملت من الداخل على اثارة الفتنة سواء في شمال العراق حيث الاكراد او في جنوب العراق حيث الاغلبية الشيعية. ولازال العراق الى اليوم يعاني من مشاكل تدخله في الكويت فقد تكبد العراق خسائر مادية كثيرة تصل

الى قرابة المائة مليار دولار وخسر الكويت حوالي 70 مليار دولار اضافة الى ما خسرته الدول الاخرى التي تأثرت بحرب الخليج سواء بطريق مباشر مثل الاردن ومنظمة التحرير الفلسطينية وغيرها او بطريق غير مباشر مثل ما في الدول العربية والدول الاخرى التي تتعامل تجاريا واقتصاديا مع العراق والكويت وباقي دول الخليج .

أضف الى ذلك ما حدث من انقسامات في الدول العربية سيكون له أثر كبير على التضامن العربي اضافة الى ما ستتعرض له الأمة العربية من انقسامات واختلاف في حل المشاكل الجوهرية .

لقد أفرزت حرب الخليج ظهور تحالفات عربية جديدة. ويبدو أن الاجتماع الذي عقد في القاهرة بين وزراء خارجية دول مجلس التعاون الخليجي ووزيري خارجية مصر وسوريا بمثابة تكريس للتحالفات العربية الجديدة، وهي تحالفات ظهرت بوضوح في قمة بغداد التي انعقدت في ايار (مايو) من عام 1990 عندما فضل الرئيس حسني مبارك العودة من العاصمة العراقية الى القاهرة عن طريق دمشق التي قاطعت قمة بغداد .

منذ ذلك الوقت بدأت تظهر بوادر خلافات بين مصر والعراق. وكانت قمة بغداد من الناحية العملية بمثابة النهاية لمجلس التعاون العربي الذي ولد في العاصمة العراقية في شباط (فبراير) 1989. وكرس الاجتياح العراقي للكويت نهاية مجلس التعاون العربي في شكله السابق . وبات العالم العربي موزعا في مجموعات تتنازعها المواقف المتناقضة في سبيل ذيول الاحتلال العراقي للكويت

ولقد دخلت القوى الخارجية المسيطرة، الساحة العربية بحيويتها واساطيلها وقذائفها وصواريخها وسائر اعتدتها ذات القوة التقتيلية والتدميرية الفائقة التطور، وابرزت مخاوف مرعبة لامتداد سيطرتها وتركز نفوذها بعد هذه الحرب الطاحنة ، والقوة الصهيونية مرتاحة ومبتهجة بما يصيب الارض والموارد العربية والاجهزة المهيأة من تخريب وبما تطمع في احتلاله من مناطق عربية جديدة ومن تلقيها من مساعدات مالية وعسكرية نتيجة هذه الحرب، وبتحول الانظار عن استقبالها لمئات الالوف من اليهود الروس وسواهم وبمضيها في انشاء المستعمرات في الاراضي المحتلة وفي قمع سكان هذه الاراضي بل في تهيئة الاسباب لنقلهم واجلائهم عنها، كما ان قوى أخرى في الجوار تستعد للافادة من الخسائر العربية وللعب دور بارز ومؤثر في المجال الاقليمي عندما تجري التسوية (1) هذا في الخارج. أما في الداخل فان هذه الحرب قد أهدرت ثروات طبيعية ومكتسبات صناعية وعسكرية كان خليقا بها ان تصان وتنسق وتستخدم في استعادة الارض وبناء النهضة .

عمقت أزمة الخليج الهوة بين ضفتي البحر الابيض المتوسط الشمالية والجنوبية وبشكل خاص بين أوروبا والمغرب العربي وصدمت القيم والمفاهيم السائدة من حوله، ولهذا أشار بعض المفكرين بشأن

---

(1) جريدة الحياة اللبنانية ، العدد 102039 ، تاريخ 1991/2/5.

العلاقات العربية - الاوروبية الجديدة ومسيرة الاندماج الاوروبي في مرحلة ما بعد ازمة الخليج الى الدعوة لتحديث الحوار العربي الاوروبي وان تركز المجموعة الاوروبية جهودها على تطوير علاقات التعاون مع اتحاد المغرب العربي كتجمع اقليمي. كما يرى أن ازمة الخليج ومن قبلها المتغيرات الكبرى التي تشهدها اوروبا الشرقية تدفع البلدان الاوروبية الى الاسراع بانجاز وحدتها السياسية وارساء سياسة الامن والدفاع الاوروبي المشترك. وتتفق بلدان المجموعة حول المبدأ العام لهذه السياسة لكن خلافات هامة تشقها حول صيغ تنفيذه بين البلدان الاطلسية كبريطانيا وهولندة والاخرى ذات التوجه الاوروبي .

ويفسر ريك كولزات*انعدام القيم والمفاهيم واصطدامها بين صفوف الرأي العام العربي والمغاربي باندلاع أزمة الخليج في مرحلة بلغت فيها المجموعة الاوروبية نهاية اندماجها الاقتصادي (1992) وتعد لبناء وحدتها السياسية واقامة علاقات شراكة اقتصادية وتفاهم سياسي مع جيرانها في وسط وشرق اوروبا. كما ان منظمة الامم المتحدة كانت تتطلع في ظل الوفاق الدولي الى استعادة دورها السلمي والتي حققت نقاطا ايجابية خلال النزاع العربي الاسرائيلي (2) ولمعت في حل مشكلة

---

* رئيس مركز الابحاث الاوروبية ببروكسل والمستشار السياسي في الحكومة البلجيكية .

(2) نفس المرجع السابق .

ناميبيا. الا ان العالم العربي لم يكن يعايش في المرحلة ذاتها المفاهيم الجديدة للوفاق الدولي وانما يواجه استمرار الاحتلال الاسرائيلي للاراضي العربية . ومن ثم فان الهوة كبيرة بين الرأي العام الاوروبي والرأي العام في البلدان المغاربية والاردن وفلسطين المحتلة. فالاول رأى في حرب الخليج عملا دوليا لغرض تطبيق احترام القانون الدولي بينما رآها الثاني اعتداء على دولة عربية من اجل مصالح استراتيجية لفائدة الغرب .

وسواء كانت حرب الخليج حرب الامم المتحدة ام قامت بها بلدان التحالف بتفويض منها فانها ستظل سابقة تاريخية ومرجعا لاحترام القانون الدولي. وبأن مستقبل الامم المتحدة مرتبط بمصداقية اعضائها والكبار منهم بشكل خاص فالمنطقة العربية تنتظر الان جهود الولايات المتحدة وان منطقة الشرق الاوسط ستكون في مأزق اذا لم تتوصل المجموعة الدولية في الاشهر المقبلة الى ايجاد بداية حلول لاحتلال اسرائيل للاراضي الفلسطينية والعربية الأخرى .وتظهر الدعوة جلية للمجموعة الاوروبية الى اعادة اكتشاف الحوار العربي الاوروبي وتطويره سواء مع مجلس التعاون الخليجي ومع اتحاد المغرب العربي بهدف تنمية المبادلات التجارية والقيادات الثقافية عبر المتوسط وكذلك تمويل المشاريع الانتاجية ووجوب ان يؤدي التعاون الاوروبي العربي بصفة عامة والمغاربي بصفة خاصة الى عملية تتراكم الرساميل وان يعاد استثمارها في بلدان المنطقة من أجل

ازدهارها وتخفيف ضغط الهجرة المغاربية عن اوروبا .
والجدير بالذكر ان الساحة الاقتصادية العالمية تشهد تغيرات هيكلية وجذرية تؤثر على الاقطار النامية بصفة عامة والاقطار العربية بصفة خاصة، تأثيرا مباشرا، واهم تلك التغيرات ما يحدث من تطورات تتصل بتحرك السوق الاوروبية المشتركة الى سوق واحدة عام 1992، وما قد يترتب على ذلك من انعكاسات على دول العالم الثالث، وكذا التغيرات الهيكلية في أوروبا الشرقية والاتحاد السوفياتي، والتطورات الجارية في ميدان التجارة العالمية وفي مفاوضات الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات (الغات) .
كما ان التطورات التكنولوجية المتواصلة التي يشهدها العالم اليوم في ميادين المواصلات والنقل، وتزايد حركة رأس المال والعمالة والخدمات على المستوى الدولي قد افضيا الى اضفاء صبغة دولية متزايدة على الاقتصاد العالمي، الامر الذي ادى الى زيادة القدرة الانتاجية ونهوض التجارة، وقد اتاح ذلك فرصا لتحقيق دخول أعلى نتيجة لزيادة حركة رأس المال وانتقال العمالة بين أقطار تتباين في مستويات دخولها. وقد ترتب على زيادة تشابك العلاقات الاقتصادية ان صار اي تطور يقع في اية منطقة من العالم يؤثر على الاقطار الاخرى في العالم. وهكذا تزايدت الجهود التي تبذلها الدول لاقامة انظمة تكامل اقتصادي اقليمية فيما بينها درءا لما يمكن ان ينجم عن هذا التفاعل من تأثيرات سلبية تضطرد وباضطراد اكتساب الاقتصاد العالمي

للصيغة الدولية .
ومن امثلة التكامل الاقتصادي الاقليمي هذا يمكننا ان نسوق أمثلة : السوق الاوروبية الواحدة، ومنطقة التجارة الحرة بين الولايات المتحدة وكندا والمكسيك، والجهود التكاملية التي تبذلها دول اسيا والمحيط الهادي. وبعض التجمعات التي ظهرت في مجتمع الاقطار العربية قبل مجلس التعاون الخليجي واتحاد المغرب العربي .
ان تحقيق التكامل في السوق الاوروبية المشتركة عام 1992 سوف يجعل من الجماعة الاوروبية ، بمجموع سكانها الذين يبلغون 320 مليون نسمة، وبمستوى دخلها الذي يصل الى ستة الاف بليون دولار، اضخم اسواق العالم قاطبة وسوف ترتهن الاثار الاقتصادية التي ستلحق بالبلدان النامية ومن ثم بالاقطار العربية من جراء هذا التطور بموقف السوق الاوروبية الواحدة، وما اذا كانت ستتجه الى تشجيع التجارة ام الى تقييدها .
ويشير العمل الذي قامت به لجنة الجماعة الاوروبية الى ان الواردات من المنتجات الصناعية سوف تقل بنسبة 10 في المائة عقب ازالة الحواجز، الامر الذي سيحدث تأثيرا سلبيا قد يتفاقم فيما اذا أبرمت الجماعة الاوروبية اتفاقيات تجارية خاصة مع بلدان اوروبا الشرقية .
وقد شهدت الفترة الاخيرة تزايدا في الحواجز غير الجمركية على الرغم من التحقيقات الملموسة في التعريفات الجمركية من جانب الدول الصناعية تطبيقا لما تم التوصل اليه في اطار مفاوضات الاتفاقية العامة للتجارة والتعريفات (الغات) .

ويعتقد ان تحرير التجارة العالمية سيكون في نهاية المطاف لصالح الجميع. وتشير التقديرات الى ان تكلفة التدابير الحمائية التي تتيح لعامل في صناعة النسيج بالولايات المتحدة الامريكية، الاحتفاظ بوظيفة تعادل أربعة امثال قيمة اجره السنوي. اما في البلدان النامية ومنها بالطبع البلدان العربية، فان الاجراءات الحمائية المطبقة ترفع التكلفة بشدة سواء للمستهلك او لرجال الصناعة الذين هم بحاجة الى استيراد مدخلات الانتاج، كما يؤدي الى تردي الانتاجية .

هذا وان النمو الاقتصادي ، بما يهدف اليه في النهاية من ارتقاء بمستوى رفاهية الافراد، هو اكثر العوامل حسما في توطيد السلام الداخلي، وتشكل التنمية الاقتصادية في الوقت نفسه عاملاً هاما في تحقيق وتعزيز الاصلاحات الهيكلية والادارية اللازمة لتطوير بلداننا العربية .

كما ان ما يشهد العالم اليوم من تغيرات سريعة وتعميق للطابع العالمي للعلاقات الاقتصادية يدل على ان التدابير التي تتخذ داخل الحدود القطرية لم تكن تكفي لضمان النمو الاقتصادي والارتقاء بمستوى رفاهية الافراد ، ويؤكد الاهمية المتزايدة للتعاون الاقتصادي الدولي .

ومن هنا فإن الظروف السائدة في العالم اليوم تستوجب دعم التعاون الاقتصادي والتجاري فيما بين البلدان العربية لكفالة مستوى اعلى من

الرفاهية. ولن يتسنى ذلك التعاون الراسخ والدائم الا عن طريق اتباع منهج رشيد بين الافعال والقدرات والامكانيات الفعلية، وتحديد الاهداف تحديدا واضحا. وقد يكون من المفيد في تحديد هذه الاهداف وفي تحقيقها، تبني استراتيجية تعاون يجري تطبيقها عن طريق التجمعات الاقليمية فيما بين البلدان العربية التي تمتد عبر مناطق جغرافية فضلا عما يوجد من تباين في الهياكل والاحتياجات والعلاقات الاقتصادية. ولا شك ان تنفيذ انشطة ومشروعات اقتصادية في مجالات التجارة والصناعة والزراعة والنقل والمواصلات والطاقة وغيرها هي بمثابة نقطة انطلاق مفيدة لتعاون نافع بين البلدان العربية .

انفتاح العرب على العرب

عبثا نتكلم عن وحدة عربية او تضامن او تعاون عربي ونرفع لواء هذا وذاك عاليا اذا نحن لم نحزم امرنا ونطوي صفحة الانقسامات العربية ونقر اقرارا ثابتا بأن هذا العصر هو عصر التكامل بين الشعوب .

العرب يتخبطون في مشكلات ناشئة وأخرى وافدة عليه من وراء حدوده، فالاغتصاب الصهيوني ينصب على فلسطين ولبنان والجولان، ويتسرب خطره الى كل بلد عربي وفيه، والهجمات الاقتصادية في الشعوب المصنعة تهدد مجتمعنا العربي وتنطلق على المجتمعات المتخلفة قاطبة. ومن جهة أخرى هناك شؤون التنمية التي لا تعالج بموارد محصورة

بل تتطلب موارد بشرية ومادية مجمعة ومنسقة.
أضف الى ذلك تحديات خارجية كثيرة وكل منها
يتصاعد تصاعدا هائلا في هذا الزمان. كل ذلك
يتطلب ان نرفع شعار التعامل والتكامل وان تنبذ
الخلافات والضغائن والانقسامات ونحسم امرنا على
حتمية انفتاح العرب على العرب، انفتاحهم بعضا
على بعض وتعاونهم معا .

المراجع

- ناديا مصطفى ، اوروبا والوطن العربي الطبعة الاولى ، بيروت ، 1986 .
- سمعان بطرس فرج الله ، العلاقات السياسية الدولية في القرن العشرين ، الجزء الاول ، الطبعة الثانية ، القاهرة ، 1980 .
- حامد ربيع ، الحوار العربي الاوروبي واستراتيجية التعامل مع الدول الكبرى ، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، 1980 .
- انور عبد الملك ، تغيير العالم ، كتاب عالم المعرفة ، الكويت ، 1985 .
- حامد ربيع ، نظرية الامن القومي العربي ، بيروت ، 1984 .
- على الدين هلال وجميل مطر ، النظام الاقليمي العربي ، دراسة في العلاقات السياسية العربية ، بيروت ، 1979 .

- احمد عبد الرحيم مصطفى ، العلاقات المصرية البريطانية 1936-1956 ، القاهرة .
- ارسكين تشايلدرز ، الطريق الى السويس ، ترجمة خيري حماد ، القاهرة ، 1962 .
- حامد ربيع ، التعريف بالمضمون السياسي للحوار العربي الاوروبي ، معهد البحوث والدراسات العربية ، القاهرة ، 1979 .
- جلال احمد امين ، المشرق العربي والغرب ، بحث في دور المؤثرات الخارجية في تطور النظام الاقتصادي العربي والعلاقات الاقتصادية العربية ، الطبعة الثالثة ، بيروت ،1981 .

الفهرس

انتهى طبع هدا الكتاب
بالمطبعة العربية
بن عروس - تونس
سحب من هذا الكتاب 3.000 نسخة